

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الكفاية

في العقيدة والفرق والمذاهب

تشمّل على خلاصة كتاب التوحيد والجمهورية والشمسية والشمسية

ومسائل ميركاتب مختلفات للإسلام السنة
مع نظم الفرق والمذاهب المقاصدة

وَعَلَيْهِ

الحمد لله الذي معاني أرباب الكفاية

و عبد العزيز بن محلي الحرابي

أستاذ القراءات والتفسير المأثور
بجامعة أرباب الفقه بمكة المكرمة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الْكَفَايَةُ

فِي الْعَقِيدَةِ وَالْفِرَقِ وَالْمَذَاهِبِ

تَشْمَلُ عَلَى خِلَاصَةِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ وَالْحُمُومَةِ وَالشَّذَرِيَّةِ وَالظُّلُمَاوَةِ

وَمَسَائِلَ مِنْ كُتُبِ مُخْتَلَفَةِ الْأَعْلَامِ بِسَنَةِ

مَعَ نَظْمِ الْفُرُوقِ وَالْمَذَاهِبِ الْمُعَاَصِرَةِ

وَعَلَيْهِ

الطَّهْرَانِيَّةِ إِلَى مَعَانِي الْأَيْكَةِ الْكَفَايَةِ

و.عبد العزيز بن علي الطرشي

أُسْتَاذُ الْقُلُوبَاتِ وَالتَّفْسِيرِ الْمَشَارِكِ

بِجَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَقُوقُ الطَّبَاعِ مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ

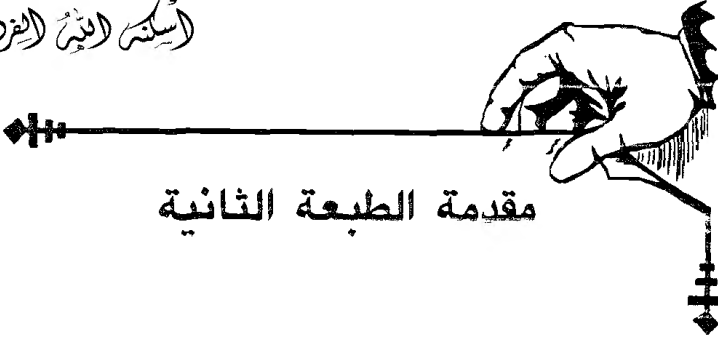
الطبعة الثانية

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أَسْكَنَهُ اللهُ الفردوس



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه
ومن اتبع هداه. وبعد:

أقدم كتابي «الكفاية في العقيدة والفرق والمذاهب المعاصرة»
بشرحه «الهداية» في طبعته الثانية بعد نحو خمسة عشر عاماً من طبعته
الأولى... ولم تكن مقدمة الطبعة الأولى وافية بشرح مفصل، ولكنه
كان مناسباً للشرح الموجز، واليوم - وأنا أسلخ الأربعين من عمري -
أقلب صفحاته، وأقرأ أبياته، فتعود بي الذكرى إلى سنين خوالي، وأيام
غوالي، قضيتها في دأب وجهد حول موائد العلوم، لا رفيق لي فيها،
ولا أنيس أجد له في نفسي راحة غير الكتاب والقلم، فهما سميرا
فؤادي، وإن منعاني لهوي ورقادي، لم يكن لي من اللذائذ ما أجد له
طعمًا، ولا من الصوارف ما أحمل له همًا، ورفاقي في تلك المرحلة
يعرفون ذلك منذ المرحلة الثانوية وما بعدها إلى الجامعة، وفيها بدأت
في نظم الكفاية، ونقحتها حتى صارت على ما هي عليه، فبدا لي أن
ألحق بها نظمًا في الفرق، فتم لي ذلك وألحقته به، وأنا بمكة... ولما
عرضته على العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين عام ١٤١٥هـ قال
لي: قرأته كله، ولم أجد فيه ما يحتاج إلى مراجعة منك، غير أنني لا
أرضى لك التوقف في مسألة «فناء النار» يشير إلى البيت الذي قلت فيه:

وصنّف الوالدُ فيها الكَشْفًا واخترْتُ بعدَ طُولِ بحثي الوقفا

ثم قال: لا أرى ذلك؛ لثلاث آيات في القرآن، وتلا آيات التأييد الثلاث التي جاءت في حق الكافرين في سورة النساء، والأحزاب، وسورة الجن، وذكرته بحواب العلماء الذي يعرفه، وإنَّ المتوقف يتوقف لتكافؤ الأدلة، أو القصور يعلمه من نفسه، أو لتقصير في استيفاء البحث، أو لورع، وليس في المسألة ما يرشده إلى الأحوط، وفهمت أنه رضي بالجواب، ولم يطل بيني وبينه البحث.

وقرأه الوالد - أمد الله في عمره في حسن عمل - من أوله إلى آخره، وهو أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى سابقًا، نظمًا وشرحًا، وقرأه غيره، وقرأت جزءًا منه بعد طباعته على والدنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، واستحسنه، وأريد أن أعرض ههنا إلى أمرين:

أحدهما: كتابة ملخص في سطور عن هذا النظم ومصادره، فأقول:

هذا النظم هو خلاصة لأهم مسائل «كتاب التوحيد» للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وخلاصة كتاب «العقيدة الطحاوية» للطحاوي، و«الحموية» و«التدمرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب تلميذه ابن القيم، ومسائل متفرقة من كتبهما، و«الاعتصام» للشاطبي، وغيرها من كتب الاعتقاد، وبعض المسائل من كتب التفسير، وغير التفسير، وأما كتب الفرق والمذاهب المعاصرة فمصدري فيها - في معظمها - كتب الموسوعة الميسرة في الفرق والمذاهب المعاصرة.

ولا أعلم نظمًا من منظومات الاعتقاد جمع خلاصة تلك الكتب، والمنظومات في الفقه الأكبر على مذهب السلف الطيب قليلة، وأما

الفرق والمذاهب المعاصرة، فلا أعلم فيها نظامًا مطولاً ولا موجزاً أصلاً.

فكان من هذا الوجه متميزاً، فإنني لا أرى فائدة كبرى في تكرار مسائل العلوم المنظومة بنظم جديد، لا سيما ما حرّر من ذلك وخدم، كالنحو والقراءات وأصول الفقه، ولا فائدة في صرف الناس عن نظم اشتهر نفعه، وكثرت شروحه وكثر دارسوه إلى نظم جديد، فهذا من ضعف التأليف وقصر النظر في حاجة الناس، ولهذا لا يكتب لتلك الأنظام القبول لدى الناس كما كان لما سبق منها، وقد رأيت منظومات في القراءات السبع منها ما نظمه بعض المعاصرين فلم تهتد إلى طريق الشهرة والعناية بها، وبعضها لا يعرفها إلا ناظمها وبعض من يعرفه، فهذا من وضع الكلم في غير مواضعه، ولو فكر في ذلك لعلم أن منظومة «حرز الأماني» في القراءات السبع للشاطبي كافية وافية، وهكذا ألفية ابن مالك في علم النحو والصرف، ومنظومة «الرحبية في الفرائض» وغير ذلك.

الثاني: رأيت من يستخف بالنظم في العلوم، وهم صنفان:

أحدهما: رجل ضعيف الحفظ لا يتذوق النظم، ولا يحسن قراءته، يتجرعه ولا يكاد يسيغه، فهذا رجل أتى من نفسه وذم ما جهله، والمرء عدو ما يجهل.

وأما الآخر: فيرى أن تربية الملكة على القراءة والفهم أولى من الانشغال بالحفظ، ومن هذا الصنف من لا يرى حفظ القرآن ولا نصوص السنة، ويرى أن إعمال الذهن في فهم النصوص وتحقيق المسائل والاستنباط، والبحث أولى وأجدر، ومنهم من لا يرى ذلك في المنظومات والمتون، ويقول: إن عصور ما قبل النظم لم يكن

العلماء فيها يحفظون مثل هذه المنظومات وكانوا أعلم، وغاب عن باله أنهم كانوا يحفظون أسفارًا كاملة، وكتبًا وموسوعات، وأنهم كانوا يحفظون دواوين الشعراء، وفاته أنه لم يكن ثمة نظم فيحفظ، ولا متون تعتصر مسائل العلم وتجمعه، وخفي عليه أن النظم ما هو إلا ضرب من الكلام، كالنثر، غير أنه موزون مقفى يستعذبه الطبع، ويخف على السمع، ويجري على الألسنة جري الماء، وأنه أثبت في القلب وأضبط وألخص.

وقد عرف من عالج ذلك بالتجربة، ووجدنا أنه لا يستطيع أحد أن يضبط القراءات بعزوها إلى قارئها ضبطًا دقيقًا إلا بحفظ كتاب في ذلك كالتييسير أو الشاطبية، وأن حفظه للنظم أيسر، وثباته أدوم، ومراجعته أسهل، ووجدنا علماء الإسلام منذ نشأ النظم العلمي مقبلين على النظم كتابة وحفظًا وشرحًا وتعليمًا، في النحو والصرف، وأصول الفقه، وعلم البيان، وعلم القراءات والتجويد، ومصطلح الحديث، وغيرها... وفي بعض المنظومات المختصرة ما يجمع شتات مسائل فن من الفنون في أبيات قليلة تكون أصلًا ينطلق منه المبتدي، وتذكرة للعالم، وأضرب مثالاً على ذلك بمنظومة «البيقونية» في مصطلح الحديث، عدد أبياتها أربعة وثلاثون، يحفظها طالب العلم في يوم، ويجد لذلك نفعًا عظيمًا.

ثم إن علوم الإسلام مبنية على الحفظ، وإنما حُفِظ القرآن والسنة وأصول العلوم وأقوال الصحابة والتابعين وأشعار العرب والتواريخ في ذاكرة الحفاظ، والذين يذمّون الحفظ غالطون خالطون بين المدرسة الغربية القائمة في معظمها على التطبيق والفهم وبين الدراسة الشرقية التي تقوم علومها على الحفظ والفهم معًا، والعلم هو الحفظ، ولا يكون المرء عالمًا إلا بالحفظ، وليس في العلماء من نال الإمامة في

العلم إلا بالحفظ، والشأن في الحافظ أن يفهم ما يحفظه ويعيه، وأما من يحفظ ولا يفهم، فهذا كأبي زياد! وكلامنا عن غيره، وقد أخبر من صرف همته لاكتساب المعرفة بالقراءة والبحث والجدل حتى صار من الأعلام وحكماء الإسلام أنه نادم على تقصيره في باب الحفظ، وأنه أضعف حافظته بإعمال الملكات الأخرى دونها، وإنما تنمو الملكات بالتربية والاعتناء والترويض، وهكذا من اشتغل بالحفظ وغلبه على غيره يكون تغلبه على حساب الملكات الأخرى.

فالناس في هذا طرفان ووسط... وقد نبهت على هذا الجانب في مقدم شرحي على «مقصورة ابن دريد».

ومما يبالغ فيه المفرطون في الاشتغال بالمتون حفظ ما لا يحتاج الآن إلى حفظ، ولا يكفينا فيه الحفظ، وحفظه يتطلب عناء كبيراً، ومراجعته تستغرق وقتاً، كأن يحفظ طالب العلم كتاب «تقريب التهذيب» لابن حجر، فهذا ضيّع وقته ولم ينفعنا بشيء، فلا التقريب وحده يكفي في الحكم على الرجال، ولا اكتسب علماً ينتفع به حكمة وعملاً، تزكو به نفسه ويتهدّب خلقه، وإنما هي أسماء ورموز أجهد بها ذهنه، وقسا بها قلبه، ولو أحسن السلوك إلى الطريق الموصل إلى المقصود لاكتفى بالمراس والدربة؛ لأن مثل هذا يدرك بالاطلاع والدراسة والتدريس، وكذلك الفقه ليس من العلوم التي تحفظ مادتها من خلال متن منظوم أو منشور؛ لأن الفقه هو العلم بالأحكام من خلال الدليل، وهو بعد ذلك واسع الدائرة جداً، والعبقريّة فيه تمنع من جمع الذهن على معلومات محدودة في متن منظوم أو منشور.

ومع هذا كله لا نقول: إن حفظ المتون من شروط تحصيل العلم ولكننا نردّ على من يعيب على من يستعين بها، ونرشد إلى أنها طريق مختصر للتحصيل والضبط وإيقاظ الذاكرة.

إنني أقدم منظومتي هذه الجامعة لمسائل كثيرة من مصادر شتى مع شرحها الوجيز لتكون كافية لمن حَذِقها وافية بمراده، وليكون من استوعبها نابغاً بين أقرانه في هذا الشأن... ولا أستطيع أن أصوّر التعبير عن سروري العامر الغامر حين لقيت من حفظها أو حفظ بعضها، أو حفظ الأبيات الملحقة في الفرق والمذاهب المعاصرة، وهي مسجلة بصوتين حسنين، ولم أغير في شيء من أبياتها إلا ما لا بدّ منه لزيادة معنى أو تجنب ما يراه كثير من العروضيين عيباً في القافية.

وإنني لأسأل المولى - سبحانه - بأسمائه الحسنى التوفيق والسداد والقبول لي ولكلّ من قرأها.

د. عبدالعزيز بن علي الحربي

مكة المكرمة - ١٤٢٩هـ

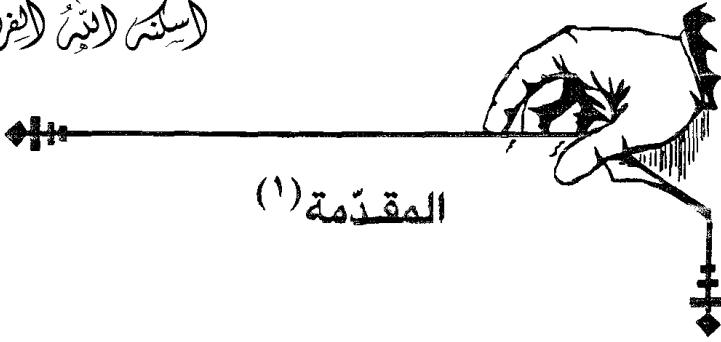
ثم صححته وراجعته

غرة محرم من عام ١٤٣١هـ

بيروت - لبنان



رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس



المقدمة (١)

سَبَّحْتُ بِالْحَمْدِ وَبِالْحَمْدِ أَقُولُ أَصُولُ بِاللّهِ وَبِاللّهِ أَجُولُ
رَبِّ أَعْنِي وَاشْرَحَنَّ صَدْرِي وَسَدِّدِ الْمُرْجَحِينَ زُبْرِي
وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى الْمُبَارَكِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَارِكْ

(١) الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

قال أبو محمد: هذا شرح مختصر على نظم العقيدة والفرق المسمّى بـ«كفاية السُّرُور في العقيدة والفرق ومذاهب الدهور»، كنت نظمت كثيراً منه منذ دهر لنفسي، ثم زدته أبياتاً من نَظْمِي «وَلَدُ الْوَلَدِ» و«حشو الإِرْدَبِ مما هبّ ودبّ»، وتوخيت في كل من النظم والشرح الإيجاز وإيضاح العبارة متجافياً عن قصد الصناعة مائلاً عنها إلى الطبع الذي يتفق الناس على حمده إلا في مواضع يسيرة كان المقام يقتضي فيها ذلك، لغرض الإفادة بلفظ غريب أو معنى غير قريب.

وليعلم المطَّلِعُ أَنَّ «الكفاية» في العُنْوَانِ نسيّة، ولها اعتبارات، وأنني إذا أطلقت في النظم لفظ: «الشيخ»؛ فالمقصود به شيخ الإسلام ابن تيمية. وبالله تعالى التوفيق، وعليه وحده التكلان.

والسُّرُور: هو الفطن العالم الدّخَال في الأمور، والحبيب، والخاصّة من الأصحاب. «القاموس».

وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ النَّبَلَا
عَذَبَ مَعِينِهِمْ بِمَجْرَى الْإِتْبَاعِ
وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ لَهُ رِيَاضُ
وَقَدْ عُنِيَ أَسْلَافُنَا بِالْعِلْمِ
وَأَرْهَفُوا مَخَاذِمَ^(١) الْبَرَاةِ
فَكَانَ مَا تَرَوْنَهُ مِنْ كُتُبٍ
وَقَدْ رَجَوْتُ خَالِقِي فَتَحَا عَلَيَّ
لَأُتْنِي لَمْ أَرَ إِلَّا ضَحَابٍ
فَوَفَّقَ الْكَرِيمُ فِي نَظْمِ رَجَزٍ
وَحِينَ شَبَّ نَظْمُهُ أَمْسَكَ بِهِ
وَرُبَّمَا يَفُوقُ نَظْمِي مَنْ سَبَقَ
وَسَبَقُهُمْ مُسْتَوْجِبٌ دُعَائِي

وَمَنْ قَفَا آثَارَهُمْ وَوَصَلَا
وَمَدَّ نَحْوَ شَرِبِهِمْ بِكُلِّ بَاغٍ
غُلِبَ خَمَائِلُ لَهَا حِيَاضُ
وَقَنَصُوا شَارِدَهُ بِالنَّظْمِ
وَأَرْعَفُوا مَخَاطِمَ^(٢) الْبَرَاةِ^(٣)
نَفَاعَةٍ عَلَى اخْتِلَافِ الرُّتَبِ
فِي نَظْمِ مَا رُمْتُ، وَإِنِّي لَظَمِي
نَظْمًا وَجِيزًا عَمَّ ذَا اسْتِيْعَابِ
حَوَى أَصُولَ الْاِعْتِقَادِ وَنَجَزُ
نَظْمِ افْتِرَاقِ وَاسْتَوَى فِي سَكْبِهِ
فِي الْجَمْعِ وَالْإِنْجَازِ مَعَ نَظْمِ الْفِرْقِ
إِنَّ دُعَائِي لَيْسَ كَادَّعَائِي



(١) جمع مِخْذَم، وهو السيف القاطع.

(٢) جمع مِخْطَم على وزن منبر ومجلس: الأنف.

(٣) القلم.

الكلام في نوعي التوحيد

نوعان قولِي وفِعْلِي، كِلَا
وانقَسَم القولِي إلى قِسْمَيْنِ
وَالأَوَّلُ انْفَكَّ إِلَى: مُتَّصِلِ
ثَانِيهِمَا إِبْثَاتٌ وَصِفٌ كَمَلَا
نوعِيه - يَا ذَا اللَّبِّ - بِالْعِلْمِ أَنْجَلَا
سَلْبٍ وَإِثْبَاتٍ بِغَيْرِ مَيِّنِ
وَذِي انْفَصَالٍ مِثْلُ سَلْبٍ لِلْوَلِيِّ
لِلْمَلِكِ الْقُدُّوسِ جَلَّ وَعَلَا^(١)

(١) التوحيد نوعان: قولِي اعتقادي؛ لأنه متعلق باللسان ثناءً، وبالقلب إقرارًا واعتقادًا، وسوف يأتي الحديث عنه في نظم التدمرية وهو توحيد الأسماء والصفات ويدخل فيه توحيد الربوبية.

النوع الثاني: الفعلي، وسيأتي بيانه.

وانقسم هذا النوع وهو «القولِي» إلى قسمين:

الأول: السلب، أي: سلب النقائص عن الله المتضمن إثبات الكمال.

والثاني: ثبوتي، وهو إثبات ما ثبت لله تعالى من صفات الكمال وهو ما تضمنه البيت الرابع.

والأول: وهو السلب، انفك، أي: انفصل إلى:

١- توحيد قولِي سلبي متصل، كنفي الموت المنافي للحياة، والضعف المنافي للقوة.

أَسْمَاؤُهُ أَسْمَاءٌ مَدْحٌ، كُلُّهَا
إِيَّاكَ وَالْإِلْحَادَ فِيهَا، وَذَرِ
وَالْمُلْحِدُونَ مِنْهُمْ: الْمُعْظَلُ
وِثَانِي النُّوعَيْنِ: الْأَتْعَبُ
ذَا خَشْيَةٍ مَحَبَّةٍ وَرَغْبَةٍ
وَنَقْضُهُ بِأَحَدِ الشَّرَكَيْنِ
فَالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَالِاسْتِعَاذَةُ
تَوَكَّلْ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُ لَهُ
قَدْ ضَمَنْتَ مَعْنَى لَهَا فِي لَفْظِهَا
الْمُلْحِدِينَ، سَوْفَ يُجْزَى الْمُفْتَرِي
أَوْ مُشْرِكٌ، أَوْ مُنْكَرٌ مُغْفَلٌ^(١)
إِلَّا إِلَهَنَا وَأَنْ تُوَحِّدًا
إِنَابَةً تَذَلُّلٍ وَرَهْبَةٍ
أَكْبَرَ أَوْ أَضْفَرَ فَاحْذَرْ ذَيْنِ
وَحَلِفٌ وَخَشْيَةٌ وَرَغْبَةٌ
بِهِ عَلَيْهِ فِيهِ، شِرْكُ كُلِّهِ^(٢)

= ٢- توحيد قولي سلبي منفصل؛ كلفني أن يكون لله ولي.

والميم في «كملا» يجوز فيها الحركات الثلاث، والفتح هنا أولى.

(١) أسماء الله تعالى أسماء مدح، كل اسم منها متضمن صفة من صفاته، فاحذر أن تلحد في أسمائه بأن تسميه بما لم يسم به نفسه أو بإنكار شيء منها أو مما تضمنته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨)، والملحدون في أسماء الله تعالى ثلاث فرق: معطل، ومشرك، ومنكر جاحد.

(٢) قوله: وثاني النوعين... إلخ. هذا هو قسيم القولي، وهو: التوحيد الفعلي الإرادي الطلبي المسمى بتوحيد العبادة، وهو أفراد الله بها عملاً وإخلاصاً في جميع أنواعها كالخشية والمحبة والرغبة... إلخ.

ونقض هذا التوحيد - وهو على درجات - يكون بالوقوع في الشرك، كبيراً أو صغيراً فالذبح والنذر... إلخ إن لم يكن الأولان له، والاستعاذة والحلف به والخشية منه والرغبة فيه وإليه والتوكل عليه، فهو شرك كله. وفي البيتين لف ونشر غير مرتب.

وقولي: «إنابة تذلل» بترك العاطف هو من باب قوله: كيف أصبحت كيف أمسيت مما... أي: وكيف أمسيت، ويأتي كثيراً في النظم، وفي=

= الذكر: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ﴿٨﴾ أي: ووجوه، عطف على: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ ﴿٩﴾.

العابدون غير الله

وَالْعَابِدُونَ عَابِدُوا النَّبِرَانَ وَعَابِدُوا الْأَهْوَاءَ وَالشَّيْطَانَ
وَعَابِدُوا الشُّبُوحَ وَالْعِظَامَ وَعَابِدُوا الْعَجُوزَ وَالْحُطَامَ
وَتَعَسَّ الْجَمِيعُ، كُلُّهُمْ كَمَنْ خَرَّ إِلَى الرَّدَى فَمَنْ يَنْجِيهِ مَنْ؟^(١)



(١) والعابدون غير الله أصناف، منهم عابدو النيران، ومنهم عابدو الهوى، ومنهم عابدو الشيطان، ومنهم عابدو العظام (جَمْعُ عَظِيمٍ) من الخلق، ومنهم الذي يعبد الدنيا، وكلهم كما قال الله - تعالى ذُكِرَهِ -: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ولا أحد ينجيه من بعد الله، و«من» الأولى: موصولة، والثانية: للاستفهام.

و«العجوز» من المشترك اللفظي، لم أجد في اللغة أوسع منه معنى، له أكثر من مائة معنى، منها الدنيا، وإن كان في الأصل راجعاً إلى معنيين اثنين دالين. والله أعلم.

بيان أقسام الظلم والفسوق
والنفاق والكفر والشرك

وَالظُّلْمُ وَالْفُسُوقُ وَالنِّفَاقُ ثُمَّ كُفْرٌ وَشِرْكٌ كُلُّ ذَلِكَ انْقِسَمَ
لِأَصْغَرٍ وَأَكْبَرٍ وَذُو الْكِبَرِ مُخَلَّدٌ كُلُّ ذَوِيهِ فِي سَقَرٍ^(١)



(١) كل من الظلم والفسوق والنفاق والكفر والشرك ينقسم إلى قسمين: أصغر، وأكبر. والثاني مخلص أصحابه في سقر، وأمثلة كل منها لا تخفى، و«ثم» في البيت الأول للترتيب الذكري.

مسألة في التوسل

سَلِ الْإِلَهَ بِاسْمِهِ، أَوْ صِفَةٍ أَوْ عَمَلٍ، كَقِصَّةِ الثَّلَاثَةِ
أَوْ بِدُعَاءٍ مِثْلِ قَوْلِ عُمَرَ إِذْ يَذْكُرُ الْعَبَّاسَ يَرْجُو الْمَطَرَ
وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ فِعْلٌ مُبْتَدَعٌ اِعْمَلْ بِمَا صَحَّ وَمَا عَدَاهُ دَعٌ^(١)



(١) يتوسل إلى الله تعالى بأسمائه أو صفاته أو عمل صالح كما فعل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، أو بنحو ما فعل عمر في قصة استسقاؤه المعروفة، وما عدا ذلك فهو بدعة، فاعمل بما صح ودع ما عداه.

حكم من أتى كاهنًا أو عرافًا
والاستسقاء بالأنواء والحكمة من خلقها

وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا مُصَدِّقًا فَكَافِرٌ أَوْ وَافٍ
وَمَنْ أَتَاهُ دُونَهُ لَمْ تُرْفَعْ صَلَاتُهُ عَشْرَةَ فِي أَرْبَعٍ
وَكَاْفِرٌ بِالرَّبِّ ذُو اسْتِسْقَاءٍ بِالنَّوَى فَارْجُ خَالِقَ الْأَنْوَاءِ
وَخَلَقَ اللَّهُ النُّجُومَ زِينَةً، وَلَا هِتْدَا، وَالرَّجْمَ لِلْمَلْعُونَةِ^(١)



(١) ومن أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ. ومن أتاه دون تصديق لم ترفع صلاته أربعين يومًا، ثبت معناه عن النبي ﷺ، والمستسقي بالنجوم معتقدًا إنزالها للمطر كافر بالله مؤمن بالكواكب.

وخلق الله النجوم زينة للسماء، وهداية للناس يهتدون بها في سيرهم ونحوه، ورجومًا للشياطين.

الكلام في السحر وحكم الساحر والنشرة

وَالسَّحَرُ إِحْدَى الْمُؤَبَّاتِ وَهُوَ مَا
وَلَا يُصِيبُ أَحَدًا بِشَيْئٍ
وَضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ وَآءٍ، وَاخْتَلَفَ
إِنْ كَانَ كُفْرًا مَا جَنَى فَكَفَّرَ
بِالسَّحَرِ، وَالرَّقَى، وَجَازَتْ بِالرَّقَى
لَطَفَ أَمْرُهُ وَكَانَ مُبْهَمًا
إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّنَا كَالْمَعِينِ
فِي حُكْمِهِ، وَمَنْ يَفْضُلُ لَمْ يَحْفَ
أَوْ لَا فَلَا، وَالنُّشْرَةُ الْحَلُّ دُرِي
وَقَدْ رُقِيَ نَبِينَا، وَقَدْ رُقِيَ^(١)

(١) والسحر: إحدى المؤبقات السبع، وهو: ما لطف أمره ولم يعلم
لخفائه.

ولا يصيب أحداً بأذى إلا بإذن الله، وكذلك العين.

وحديث: «حد الساحر ضربه بالسيف» وفي رواية: «ضربة» ضعيف،
واختلف في حكم الساحر، ومن يفصل لم يحف، أي: لم يجر في
الحكم عليه بأن يقال: ينظر إلى عمله في السحر فإن كان مشتملاً على
كُفْرٍ كَفَّرَ، وإلا فلا.

والنشرة: الحل، أي: حل السحر عن المسحور، ويكون بالسحر
والرقى وجازت بالرقى فقط، وقد رُقِيَ النبي ﷺ ورقى، والأولى ترك
طلبها لما سيأتي.

الكلام عن الكي والتداوي

وَكُرْهُهُ جَاءَ صَحِيحًا دُونَ شُكِّ
وَالْمُضْطَفَى حَيٌّ، أَلَا فَاسْتَأْنِسُوا
أَوْ اسْتَحَبَّ، وَالْأَخِيرَ رَجَّحَ
مِنْ أُمَّةِ الْحَاشِرِ دُونَ جُنَّةِ
«بُرَاخَةَ» آخِرُ مَا قَدْ عَاشَهُ
نِفَاقَ تَالِيهِ، وَلَا تَشَقُّ بِهِ
هُنَيْدَةَ، فِي الْبَيْهَقِيِّ وَأَحْمَدًا
مِنْهُمْ -، وَ«لَا يَرْقُونَ» سَمٌ بِالْوَهْنِ^(١)

وَالنَّهْيُ عَنِ كَيٍّْ وَمَدْحٌ مَنْ تَرَكَ
وَقَدْ كُويَ مِنْ ذَاتِ جَنْبٍ أَنْسُ
ثُمَّ التَّدَاوِي أَوْجَبَنَ، أَوْ أَبَحَ
سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
مِنَ الْحِسَابِ، مِنْهُمْ عُكَاشَةُ
وَقَدْ حَكَى «يُوسُفُ» فِي اسْتِيعَابِهِ
زَيْدَ النَّبِيِّ خَمْسَ مَلَائِينَ عَدَا
جَوْدَهُ فِي الْفَتْحِ، - رَبِّ اجْعَلْنِي

(١) صح عن النبي ﷺ النهي عن الاكتواء، ومدح تاركة، وكراهته إياه، وفي البخاري عن أنس: «أنه كوي من ذات الجنب والنبي ﷺ حي».

وبه وبيعض ما سيأتي يتبين جوازه وأن تركه أولى.

أما التداوي مطلقاً؛ فقبيل: واجب، وقيل: مباح، وقيل: مستحب، وهو المرجح عند كثير. وفي الصحيح: «سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»؛ منهم عكاشة بن محصن.

.....
= و«بزاخة» آخر أيام حياته، قتل فيها، وهي وقعة لأبي بكر الصديق في حروب الردة.

وقد حكى يوسف بن عبد البر في «الاستيعاب» عن بعض أهل العلم أن الذي سأل النبي ﷺ بعد عكاشة كان منافقاً، ولا يوثق بهذا النقل لضعفه.

والحامل لهم على هذا عدم إجابة النبي ﷺ له بمثل ما أجاب عكاشة، ولهم مستند من الأثر لا يصح، وفي «الفتح» عند شرح الحديث بحث فليُرجع إليه. والمتبادر أن النبي ﷺ فعل ذلك لمعنى آخر وهو قطع تتابع السائلين. والله أعلم.

وفي البيهقي وأحمد أن النبي ﷺ استزاد ربه فزاده مع كل ألف سبعين ألفاً، جود إسناده ابن حجر، وورد في حديث «السبعين» في بعض طرقه زيادة: «ولا يرقون» وهي ضعيفة. وممن أشار إلى ضعفها الإمام ابن تيمية - رحمه الله -.

و«الهَيْدَة» المائة من الإبل أو من كل شيء، وهي هنا مائة ألف.

أقسام البدعة

<p>وَقَسَمَ الْبِدْعَةَ بِاعْتِبَارِ وَبِدْعَةٍ أَقْلٍ، وَهِيَ بِحَسَبِ أُخْرَاهُمَا الْبِدْعَةُ فِي الْمَعَامَلَةِ وَمَنْ يُحَسِّنْ بَعْضَهَا انْصُرْ عَازِلَةً^(١)</p>	<p>إِخْلَالِهَا: لِبِدْعَةِ الْإِكْفَارِ مَحَلِّهَا: لِبِدْعَةِ ذَاتِ قُرْبٍ</p>
--	--



(١) وقسم البدعة باعتبار إخلالها بالدين إلى قسمين: بدعة يكفر بها صاحبها، وبدعة أقل من ذلك، والبدعة بحسب محلها؛ أي: ما تقع فيه تنقسم إلى: بدعة في العبادة، وأخرى في المعاملة، ومن يحسن بعض البدع بأن يقول: هذه بدعة حسنة فانصر من يلومه وينكر عليه؛ لأن كل ما يسمى بدعة في الدين ضلالة. والإكفار مصدر أكفر ككفر.

أسباب البدع

وَالْجَهْلُ بِالْوَحْيَيْنِ، وَالْقَوْلُ عَلَى
وَالْجَهْلُ بِاللُّغَةِ، أَوْ أَحْوَالِ
وَالِاتِّبَاعُ لِلْهَوَى وَالْمَشْتَبَةِ
مِنْ سَبَبِ الْبِدْعَةِ فِي الْإِسْلَامِ
إِلَيْنَا بِغَيْرِ عِلْمٍ أَصْلًا
هَذِي النَّبِيِّ، وَسُنَنِ الْمَقَالِ
إِرَادَةَ الْفِتْنَةِ وَالْمُيُولِ بِهِ
وَعُدُّ إِلَى كِتَابِ «الْاِعْتِصَامِ»^(١)



(١) والجهل بالكتاب والسنة والقول على الله تعالى بغير علم، والجهل
باللغة العربية ومدلولاتها وبهدي النبي ﷺ واتباع الهوى وما تشابه من
الكتاب ابتغاء الفتنة والتحريف، كل ذلك من سبب البدعة في الدين،
ومن شاء الاستزادة فليعد إلى كتاب الشاطبي «الاعتصام» فهو أوفى
كتاب في هذا الباب.

حكم من أتى ببدعة

وَمَنْ أَتَى بِبِدْعَةٍ أُقِيمَتْ عَلَيْهِ حُجَّةٌ فَإِنْ تَجَلَّتْ
فَقَالَ: لَا، فَكَافِرٌ إِنْ كَانَ
أَوْ لَا: فَفَاسِقٌ، فَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ
عَلَيْهِ حُجَّةٌ فَإِنْ تَجَلَّتْ
مِنَ الضَّرُورِيِّ الَّذِي اسْتَبَّانَا
فَلَا تُفْسِقُهُ وَلَا تُكْفِّرُ^(١)



(١) ومن أتى ببدعة أقيمت عليه الحجة، فإن تجلت له فعند وقال: لا، فهو كافر إن كان ما كابر فيه من الضروري البين، فإن لم يكن كذلك فهو فاسق إن ظهرت له الحجة فليج، وإن لم تظهر له الحجة في دفع بدعته فلا تفسقه ولا تكفروه حتى تقام عليه الحجة.

نواقض الإسلام

نَوَاقِضُ الْإِسْلَامِ شِرْكٌ، سِحْرٌ
بِالدِّينِ، أَوْ نُصْرَةُ أَهْلِ الشِّرْكِ
بِكُفْرِهِمْ، أَوْ اعْتِقَادُهُ ارْتِقَا
وَجَعْلُهُ الْخَلْقَ وَسَائِطَ إِلَى
أَدَى لَشِرْكِ، بُغْضٌ وَخِي، سُخْرُ
عَلَى مُنِيبٍ، وَالرُّضَا، كَالشَّكِّ
مِلَّتِهِمْ، وَأَنْ لَهُ أَنْ يَمْرُقَا
خَالِقِهِ يَدْعُوهُمْ عَلَى الْوِلَا^(١)

(١) نواقض الإسلام عشرة:

أولها: الشرك بالله تعالى.

ثانيها: السحر المؤدي إليه.

ثالثها: بغض دين الله تعالى.

رابعها: السخرية به.

خامسها: مظاهره المشركين ونصرة دينهم على المؤمنين.

سادسها: الرضا بكفرهم.

سابعها: الشك في كفرهم.

ثامنها: الاعتقاد أن دينهم فوق دين الله وخير منه.

تاسعها: الاعتقاد أنه يجوز الخروج عن دين الله، و«أن» في (وأن له) مخففة من الثقيلة.

عاشرها: أن يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوه من دون الله تعالى.

بَابُ

فِي الْكَلَامِ فِي تَوْحِيدِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ
وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى جُمْلَةٍ مَا حَوَتْهُ «التَّدْمُرِيَّةُ»

وَالْكَلِمُ فِي التَّوْحِيدِ وَالْوَصْفِ : خَبَرٌ
وَالشَّرْعُ وَالْأَقْدَارُ : مِنْ بَابِ الطَّلَبِ
فَالْأَصْلُ فِي التَّوْحِيدِ فِي كُلِّ صِفَةٍ
وَرُسْلُهُ ، وَذَاكَ نَهْجُ السَّلَفِ
وَذَاكَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ قَرَرٌ
وَدَائِرُ بَيْنَ إِرَادَةِ وَحُبِّ
أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا قَدْ وَصَفَهُ
فَمَنْ قَفَا آثَارَهُمْ لَمْ يَخَفِ^(١)

(١) الكلام في التوحيد والصفات من نوع الخبر الدائر بين النفي والإثبات،
والكلام في الشرع والقدر من باب الطلب الدائر بين الإرادة والحب
والكره والبغض، والواجب في الأول: التصديق، وفي الثاني: الطاعة.
والكلم كعلم: لغة في الكلام، و«الشرع» معطوف على لفظ: «التوحيد
والوصف» و«الأقذار»: جمع قدر.

إذا علم هذا؛ فالأصل الأول في القسم الأول - وهو التوحيد في
الصفات - أن يوصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسله دون
تشبيهه أو تحريف أو تعطيل أو تمثيل، وذاك نهج السلف، فمن سار
على ما ساروا عليه لم يخف العثار، وقد وافق العلم والسلامة.

هَذَا، وَقَوْمٌ كَابَرُوا فِي الْبَدْهِيِّ
وَفِرْقَةٌ أَثْبَتَتِ الْأَسْمَاءَ، وَهُمْ:
جَمِيعُهَا، وَبَعْضُهُمْ زَادَ هُنَا
فَشَبَّهُوا إِذْ عَظَلُوا وَسَفَسَطُوا
كَيْفَ بِلَا سَمْعٍ وَلَا عِلْمٍ وَلَا
وَالِاشْتِرَاكِ فِي اسْمِهِ لَا يَفْتَضِي
فَاللَّهُ سَمَّى نَفْسَهُ الْحَيِّ وَقَالَ:
وَالِاسْمِ الْإِسْمُ لَكِنِ الْمُسَمَّى
وَالْعِلْمُ مِنْ صِفَاتِهِ وَوَصَفَا
وَالْمَقْتُ وَالنِّدَاءُ وَالْمَحَبَّةُ
قَدْ وَصِفَ الْخَلْقُ بِهَا وَالْخَالِقُ

فَجَعَلُوا الْقُدْرَةَ عِلْمًا وَهُوَ هِيَ
قِسْمَانِ، قَالَ بَعْضُ مِنْهُمْ: عَلِمَ
غَرِيبَةً فَأَنْكَرَ التَّضَمُّنَا
فِي الْعَقْلِ وَالسَّمْعِ فِيهِ قَرَمَطُوا
وَلَا... وَلَا...، فِي عَقْلِ مَنْ يَا هَؤُلَاءِ؟^(١)
تَمَائِلًا حِسًّا وَعَقْلًا قَدْ قُضِيَ
﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ تَعَالَى ذُو الْجَلَالِ
غَيْرُ الْمُسَمَّى فَأَعْرِفِ الْمُهِمَّ
بَعْضَ عِبِيدِهِ بِعِلْمٍ وَكَفَى
وَالْمَكْرُ وَالْكَيْدُ يَدُ وَقُوَّةُ
وَكُلُّ مُوصُوفٍ يَوْصَفُ لَائِقُ^(٢)

(١) وهناك قوم من الفلاسفة جعلوا الصفة هي الموصوف مكابرة للقضايا
البدهيّات فجعلوا القدرة هي العلم والعلم هو القدرة.

وطائفة ثالثة من أهل الكلام أثبتت الأسماء دون الصفات وهم قسمان.
قال بعضهم: أسماء الله تعالى كالأعلام المترادفة، والآخرون جاؤوا
بقوله غريبة هنا فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات.

فشبهوا الباري سبحانه وعطلوا مسفسطين في العقلية مقرمطين في
السمعية. كيف يكون الخالق سبحانه بلا سمع ولا علم ولا حياة ولا
قدرة... إلخ، في عقل من يرتكز هذا؟

(٢) لما سلب النفاة صفات الباري سبحانه فراّاه من التشبيه قيل لهم:

اشترك الخالق والمخلوق في الوجود مثلاً أو الحياة لا يلزم المماثلة لا

في الحس ولا في العقل. فالله سَمَّى نفسه الحيّ، وقال: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ

مِنْ أَلَمِيَّتِ﴾ [آل عمران: ٢٧] فسَمَّى بعض عباده حيّاً والاسم هو

الاسم لكن المسمّى غير المسمّى فهذا مخلوق وذلك خالق والفرق =

وَالصَّادِقُونَ عَنْ سِوَاءِ الْمَسْلُوكِ اضْطَرَبُوا فَوَقَعُوا فِي مَهْلَكِ
فِتَارَةٍ يَرْتَكِبُونَ السَّلْبَا وَتَارَةً يُشَبِّهُونَ الرَّبَّ
إِثْبَاتُهُمْ إِنْ أَثَبُّوا رَبًّا بِلَا حَقِيقَةٍ تَجْلُو لَدَى مَنْ حَصَلَا
وَقَوْلُهُمْ يَسْتَلْزِمُ التَّعْطِيلَا وَغَايَةَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلَا^(١)



= بينهما صفة كالفرق بينهما ذاتًا، ومن صفات الله تعالى العلم وقد وصف بعض عباده بالعلم وليس علم الخالق كعلم المخلوق، والمقت والنداء والمحبة والمكر والكيد واليد والقوة كذلك وصف الله بها عباده ووصف بها نفسه، وكل من الخالق والمخلوق له صفة تليق به.

(١) والمعرضون عن المسلك السوي من الفلاسفة والقرامطة والجهمية اضطربوا فوقعوا في أشد مما فروا منه.

فتارة يسلبون صفات الله، وتارة أخرى يشبهون الله بمخلوقاته.

وإن أثبتوا لا يثبتون إلا ربًّا لا حقيقة له عند التحصيل.

وقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل، و«التمثيل» في البيت معطوف على لفظ: «التعطيل».

بيان أن الكلام في هذا يتبين بأصلين
ومثلين وخاتمة

فَلْتَتَبَيَّنْ بَعْدَ هَذَا مَثْلَيْنِ خَاتِمَةً، أَضْلاً، وَأَضْلاً حَسَنَيْنِ



الأصل الأول

الْقَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ مِثْلُ
فَإِنْ يَكُنْ صَاحِبَ سَبْعِ خَصْمُكَ
أَوْ غَضَبٍ وَقَالَ ذَا إِرَادَتُهُ
فَاذْكُرْ لَهُ الْأَصْلَ الَّذِي تَقَدَّمَ
الْقَوْلُ فِي بَعْضِ فِي بَعْضٍ، فَهَذَا أَصْلُ
يُثْبِتُهَا، وَفِي رِضًا نَازَعًا
أَوْ الْعِقَابُ وَالرِّضَاءُ نِعْمَتُهُ
وَكُنْ ذَكُورًا لِلَّذِي قَدْ نُظِمَا^(١)

(١) تبين الشيء كإبانه: أوضحه وعرفه ويأتي لازماً، والمعنى فلتوضح لهؤلاء مثلين وخاتمة وأصلين، وحذف حرف العطف في «خاتمة» و«أصلاً» من باب: كيف أصبحت كيف أمسيت، أي: وكيف أمسيت، وتقدم نظيره.

الأصل الأول: القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

فإن يكن خصمك، أي: مجادلوك يثبت لله تعالى بعض الصفات وينفي بعضها بأن كان أشعرياً أو ماتوريدياً يثبت سبع صفات أو أكثر وينازع في الرضا مثلاً أو الغضب ويجعلها من باب المجاز فيردهما إلى ما أثبتته حقيقة وهو الإرادة، أو يجعل الغضب هو العقوبة والرضا نعمة.

فقل له: الأصل المتقدم وهو: القول في بعض الصفات كالقول في بعض، ولا فرق بين ما نفите وما أثبتته.

فَإِنْ يَقُولُ: فَالْغَضَبُ الَّذِي يُرَامُ
قِيلَ لَهُ: كَذَلِكَ الْإِرَادَةُ
فَإِنْ يَقُولُ: تِلْكَ الصِّفَاتُ عَقْلًا
لِقُدْرَةٍ وَالْحَكْمُ لِلْإِفَادَةِ
وَهَذِهِ الصِّفَاتُ لِلْحَيَاةِ
كَالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ وَالْكَلَامِ
اعْلَمْ بِأَنَّ عَدَمَ الدَّلِيلِ
دَلِيلُكَ الْعَقْلِيِّ إِنْ لَمْ يُثْبِتْ
فِي طَلَبِ الْإِثْبَاتِ لِلدَّلِيلِ
إِثْبَاتُكَ الْعَقْلِيِّ فَيُقَالُ لَكَ:
دَلٌّ عَلَى الرَّحْمَةِ كَدَلَالَةِ
كَذَا عِقَابُ مُجْرِمٍ دَلٌّ عَلَى

عَلَى دَمِ الْقَلْبِ؛ ابْتِغَاءُ الْإِنْتِقَامِ
مِثْلُ النَّفْسِ فَافْهَمُوا يَا سَادَهُ
ثَابِتَةً لِأَنَّ فِعْلًا دَلًّا
بِالْعِلْمِ وَالتَّخْصِصِ لِلْإِرَادَةِ
وَالْحَيِّ لَا يَخْلُو مِنَ الصِّفَاتِ
أَوْ ضِدَّهَا فَقُلْ بِذَا الْمَقَامِ
غَيْرُ مُنْفِيٍّ عَدَمَ الْمَذْهُوبِ
فَغَيْرُ نَافٍ ثُمَّ ذَا كَالْمُثْبِتِ
وَيُمْكِنُ الْوُلُوجُ فِي سَبِيلِ
إِحْسَانِهِ إِلَى الْعِبَادِ فِي الْفَلَكَ
تَخْصِصِهِ مَنْ شَاءَ عَلَى الْمَثْبُوتَةِ
بُغْضٍ كَمَا نَرَى، وَضِدُّهُ أَنْجِلًا^(١)

= والرضاء بالمد في الاضطرار على حد قوله: «ينشب في المسعل
واللهاء». وقول الآخر: «مرحبًا بالرضاء منك وأهلًا». و«الرضاء» بالمد
في الاختيار: المراضاة.

(١) فَإِنْ يَقُولُ: أَنَا لَا أَثْبِتُ صِفَةَ الْغَضَبِ؛ لِأَنَّ الْغَضَبَ غَلِيَانُ دَمِ الْقَلْبِ
لَطَلَبِ الْإِنْتِقَامِ. قِيلَ لَهُ: وَالْإِرَادَةُ مِيلُ النَّفْسِ إِلَى جَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ
مَضَرَّةٍ.

وإن يقل: تلك الصفات السبع أثبتها بالعقل؛ لأن الفعل الحادث دلٌّ
على القدرة والتخصيص دلٌّ على الإرادة، والإحكام دلٌّ على العلم.
وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع والبصر
والكلام أو غير ذلك، فقل له حينئذ:

اعلم أن عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول، هب أن دليلك العقلي لا =

.....

= يثبت ذلك فإنه لا ينفيه، والنافي لا بد أن يأتي بدليل كالمثبت.

ويقال أيضًا في الجواب عليه: يمكن الولوج معك في الاستدلال العقلي الذي جعلته طريقًا لإثبات ما أثبتته.

فيقال: نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة كدلالة تخصيص الله تعالى من شاء على المشيئة، وعقاب المجرمين يدل على بغضهم، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم.

الأصل الثاني

وَنَانِي الْأَضْلَيْنِ قُلْ: وَالْقَوْلُ فِي
فَإِنْ يَكُنْ خَصْمُكَ مِنْ مُعْتَزِلِهِ
تَقُولُ: لَيْسَ خَارِجًا مَنْ يُوصَفُ
إِلَهَنَا بِالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ
نَقُولُ: ذَاكَ لَا زِمَ فِي الْأَسْمَاءِ
إِلَّا جُسُومٌ فَانْفِ الْأَسْمَاءَ إِذَنْ
صِفَاتِهِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ يَفِي
وَيُنْكِرُ الصِّفَاتِ كُلًّا قِيلَ لَهُ
إِلَّا الْجُسُومَ، فَالَّذِينَ وَصَفُوا
قَدْ شَبَّهُوا اللَّهَ بِمَخْلُوقَاتِ
فَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ مِنْ مُسَمًّى
وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ وَانْبِذْنِ^(١)

(١) الأصل الثاني: القول في الصفات كالقول في الذات، فالله لا شيء مثله في ذاته ولا صفته ولا فعله.

فإن يكن المخاطب من المعتزلة ينكر الصفات كلها ويقول: إن الله تعالى حيّ عليم قدير وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة قيل له: إن قلت: لا نجد في الشاهد متصفاً بالصفات إلا ما هو جسم، فالذين وصفوا الله بالعلم والحياة قد شبهوه بمخلوقاته.

إن قلت ذلك؛ فإننا نقول: يلزمك ذلك فيما أثبتته من الأسماء؛ فإنه ليس في الوجود من المسميات إلا ما هو جسم فانف الأسماء إذن من أجل العلة التي منعتك من إثبات الصفات بل وانف كل شيء لهذه العلة.

وَإِنْ يَكُ الْخَصْمُ مِنَ الْغَلَاةِ نُفَاةِ الْأَسْمَاءِ مَعَ الصِّفَاتِ
وَقَالَ: لَا أَقُولُ: مُوجُودٌ وَلَا حَيٌّ، فَمَنْ يَقُلْ بِذَاكَ مَثَلًا
وَلَا زِمَ مِنْ عَدْنَا تَعَدُّهُ إِلَهِنَا وَالشُّبُهَةُ أَيْضًا يَرُدُّ
فَقُلْ لَهُ: شَبَّهْتَهُ بِالْعَدَمِ سَوْفَ يَفِرُّ هَارِبًا فِي الظُّلَمِ
لِلْجَمْعِ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ إِذْ يَسْلُبُ نَفِيًّا مَعَ ضِدِّ حِينَيْدٍ^(١)
وَهُوَ غَوِيٌّ مُفْصِحٌ عَنْ كَذِبِ إِنْ قَالَ: ذَا تَقَابُلٍ لَا سَلْبِي
تَقَابُلُ الْعَدَمِ قُلْ وَالْمَلَكَةُ أَكْبَرُ مِنْهُ حَرْجًا وَهَلَكَةً
إِنَّ الَّذِي يُوصَمُ بِاتِّصَافِ بِصِفَةِ الْكَمَالِ خَيْرٌ وَافِي^(٢)

(١) وإن يك الخصم من الغلاة الذين ينفون الأسماء والصفات ويقول: لا، أقول: هو موجود، ولا حي ولا عليم بل هذه أسماء لمخلوقاته ويلزم من تعدد الأسماء تعدد المسمى ويرد على ذلك أيضًا التشبيه.

فقل له مجيبًا على شبهته: إن قلت ذلك شبهت الله تعالى بالمعدومات وهو أشنع مما فررت منه، ووقتئذ سوف يفر هاربًا في ظلمة الجهل للجمع بين النقيضين.

فيقول: أنا أنفي النفي والإثبات، ومعلوم أن اجتماع النقيضين ممتنع إذ يستحيل اجتماع الوجود والعدم أو نفيهما وكذلك الحياة والموت والعلم والجهل.

(٢) فإن قال: إنما يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلاً لهما، وهذان ليسا من باب تقابل السلب والإيجاب بل من تقابل العدم والملكة فهو كاذب في ادعائه؛ لأن هذا لا يصح في الوجود والعدم فإنهما متقابلان تقابل الإيجاب والسلب باتفاق وما فررت إليه من تقابل العدم والملكة أكبر من تقابل الإيجاب والسلب حرجًا وامتناعًا، فإن الذي يقبل الاتصاف بصفة الكمال كالأعمى الذي يقبل الاتصاف بالبصر أكمل من «الحجر» مثلاً الذي لا يقبل الاتصاف بالعمى ولا البصر.

إِنَّ يَتَّفِقُ دَوَا وَجُودٍ فِي سُمِّي
 لِلسَّمْعِ وَالْعَقْلِ انْتِفَاءً إِنَّمَا
 فِيمَا يَخُصُّ اللَّهَ أَمَّا نَفْيُكَ
 وَقَوْلُ نَافِي الْوَصْفِ: إِنَّ الْعِلْمَ
 تَعَدَّدُ الصِّفَاتِ، وَهُوَ حُظْرًا
 يَلْزَمُكُمْ؛ إِذْ قُلْتُمْ: مَوْجُودٌ
 لَيْسَ بِتَرْكِيْبٍ - هُنَا - مَمْنُوعٌ
 فَهَكَذَا مَذْهَبُنَا الْمُقَدَّمُ
 وَذَاكَ بَابٌ دُوْ أَنْفِتَاحِ مُطَرِّدٍ
 شَيْئًا فِرَارًا مِنْهُ إِلَّا وَقَعَا

أَوْ صِفَةٍ لَيْسَ بِتَشْبِيهِ نُمِّي
 نَفْيُ الْأَدْلَةِ اشْتِرَاكًا لَزِمَا
 فَثَابِتٌ بِالْشَّرْعِ وَالْعَقْلِ لَكَا^(١)
 وَقُدْرَةٌ يَلْزَمُ مِنْهُ ثَمَّا
 تَرْكِيْبُهُ، فَقُلْ لَهُمْ دُونَ امْتِرَا:
 مَعَ وَاجِبٍ، قَالُوا: قَدْ تَوْحِيدُ
 قُلْنَا لَهُمْ مَقَالَ ذِي تَفْرِيعٍ:
 بِكُلِّ وَصْفٍ قَدْ أَتَى، فَسَلِّمُوا^(٢)
 وَكُلُّ نَافٍ مِنْهُمْ حِينَ يَرُدُّ
 فِي مِثْلِهِ أَوْ أَضْيِيقٍ، فَلَا لَعَا^(٣)

(١) ويقال له أيضًا: إن اتفاق شيئين موجودين في اسم أو صفة ليس هو التشبيه الذي نفته الأدلة من السمع والعقل، إنما نفت ما يستلزم اشتراكهما فيما يخص الخالق وما نفيته فهو ثابت بالشرع والعقل.

(٢) وقول نفاة الصفات: إثبات العلم والقدرة والإرادة يستلزم تعدد الصفات، وهذا يمتنع تركيبه. يقال لهم: يلزم التعدد أيضًا إذا قلتم: هو موجود، واجب الوجود، وهذا تركيب عندكم، فإن قالوا: هو توحيد وليس بتركيب ممتنع قلنا لهم قولاً مفرعاً حاصله أن مذهبنا فيما أثبتناه توحيد أيضًا وليس تركيباً ممتنعاً.

وقولي: يلزم منه، بضمير الواحد، كقوله: (والصبحُ والمسيُّ لا فلاح معه) وقول حسان - وقيل غيره -:

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا

(٣) وذاك الذي تقدم ذكره آنفاً باب مطرد، فإن كل واحد من النفاة لما ثبت من الصفات لا يرد شيئاً من ذلك وينفيه فراراً منه لما يعقبه من محذور إلا وقع في نظير ما فر منه أو أضيّق من ذلك. و«لا لعا» دعاء تقوله =

وَحُجَجٌ تِلْكَ زُجَاجٌ خِلْتُهَا حَقًّا، وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورُهَا^(١)



= العرب لمن عثر؛ معناه: لا أقال الله عثرتك.

(١) قال أبو محمد: قولي: وحجج... إلخ. هذا البيت تضمن ثلاثة أخبار

بمبتدئاتها وهو نظم لقول الشاعر:

حُجَجٌ تَهَافَّتْ كَالزُّجَاجِ تَخَالَهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورُ

ذكره في آخر «الحموية».

فصل في ذكر المثليين المثل الأول

هَذَا وَأَمَّا الْمَثَلَانِ فَهُمَا :
عَنِ الَّذِي فِي جَنَّةِ الْخُلُودِ
وَذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَمَسْكَنِ
وَالشُّهُدِ وَالرُّسُلُ كَذَلِكَ الْبَاقِي
لَا تَسْتَوِي، لَيْسَ لَنَا مِنْهَا عَدَا
فَإِنْ يَكُنْ تَمَاثِلٌ قَدْ عُدِمَا
أَنَّ إِلَهَنَا تَعَالَى أَعْلَمَا
مِنْ مَطْعَمٍ وَمَلْبَسٍ وَخُودِ
وَعَسَلٍ وَقَرْقَفٍ وَلَبَنِ
فِي الذَّاتِ وَاللَّوْنِ وَفِي الْمَذَاقِ
أَسْمَائِهَا وَنَحْنُ فِي دَارِ الرَّدَى
فِي دَيْنِكُمْ قَالَهُ أَوْلَى مِنْهُمَا^(١)

(١) وأما المثلان المضروبان؛ فأحدهما: أن إلَهنا تعالى أخبرنا عما في الجنة من المطاعم والملابس والمناكح كالذهب والفضة والعسل والخمر واللبن، وهذه الأشياء التي هي العسل واللبن وباقي ما ذكر، في ذاتها ولونها وطعمها لا تستوي مع ما نطعمه ونلبسه مما في هذه الدار. وقد قال ابن عباس: «ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء»، فإن كان التماثل معدوماً بين هذه الأشياء وهي مخلوقة لله فمن الأولى ألا يكون تماثل بين الخالق والمخلوق. وخود بضم الخاء: جمع خود بالفتح، والقرقف: من أسماء الخمر، والرسل بالكسر: من أسماء اللبن.

مسألة في بيان مذاهب الناس
فيما أخبر به الله عن نفسه وعن دار الجزاء

وَأَنْقَسَمَ النَّاسُ بِذَا الْمَقَامِ ثَلَاثَةً نَحْنُ وَدُو الْكَلَامِ
وَقُرْمُظٌ وَمَنْ تَلَا وَالْبَاطِنِي وَالْفَلَسَفِي ثَلَاثَةً فِي قَرْنِ
فَالْأَوْلُونَ أَثْبَتُوا مَا أَخْبَرَا عَنْ نَفْسِهِ اللَّهُ وَعَنْ دَارِ الْقَرَى
وَدُو الْكَلَامِ أَثْبَتَ الْجَزَا بِهَا دُونَ صِفَاتِ رَبَّنَا ثُمَّ انْتَهَى
ثَالِثُهُمْ لِنَفْيِ ذَا وَذَا وَفِي أَوَاخِرِ النَّظْمِ تَفَاصِيلُ تَفِي^(١)



(١) الناس في هذا الباب ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نحن أصحاب الحق آمنا بما أخبر الله عن نفسه وعن اليوم الآخر مع العلم بالمباينة بين ما في الدنيا والآخرة، وأن مباينة الله لخلقه أعظم.

الثاني: طوائف من أهل الكلام أثبتوا ما أخبر الله به في الآخرة من الثواب والعقاب ونفوا كثيرًا من الصفات.

الثالث: القرامطة والفلاسفة أتباع المشائين والباطنية ونحوهم من الملاحدة، وقد نفوا هذا وهذا.

المثل الثاني

وَالْمَثَلُ الثَّانِي هُوَ الرُّوحُ الَّتِي
 مِثْلُ الْحَيَاةِ وَالنُّزُولِ وَالصُّعُودِ
 وَكُلُّ عَقْلٍ قَاصِرٌ عَنْ حَدِّهَا؛
 وَالشَّيْءُ كُنْهَهُ يُرَى بِعَيْنٍ
 فَإِنْ تَكُنْ تَجْهَلُ كَيْفَ رُوحُكَ،
 فَرُبُّنَا أَعْظَمُ قَدْرًا وَأَجَلٌ
 فِي جِسْمِنَا قَدْ وُصِفَتْ بِصِفَةٍ
 وَقُدْرَةٍ وَالْعِلْمِ وَالسَّمْعِ الْوُجُودِ
 لِأَنَّهُ لَمْ يَرَ شَيْئًا مِثْلَهَا
 أَوْ كُنْهَ مِثْلٍ مُبْصَرٍ فِي الْكَوْنِ
 وَهِيَ الَّتِي أَوْجَدَهَا فِي جَوْفِكَ
 مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَا شَبِيهِ أَوْ مِثْلٍ^(١)



(١) المثل الثاني: هو الروح التي فينا قد وصفت بصفات ثبوتية وسلبية مثل الحياة والنزول والصعود... إلخ. والعقول قاصرة عن تكييفها وحدها لأنها لم تشاهد نظيرًا لها، والشيء يدرك كنهه بمشاهدته أو مشاهدة نظيره، فإن تكن تجهل روحك التي في جسمك من حيث كيفية ذاتها وصفاتها وكانت الروح مباينة لما يشاهد من المخلوقات فالله تعالى أولى بذلك وهو أجل من أن يكون له شبيه أو مثيل.

ومثل كجبل، ومثل كأمير، ومثل كجمل سواء، وكذلك شَبَه وشَبِيه وشَبِه، وبَدَل وبَدِيل وبَدَل.

الخاتمة
وفيها ستُّ قواعد

خاتمة جامعة قواعد نافعة حاوية فوائدا



القاعدة الأولى

أَوَّلُهَا بِأَنْ يُقَالَ هَهُنَا :
كَالْعِلْمِ وَالْكَلَامِ وَالْحَيَاةِ
وَالنَّفْيِ مَخْصًى لَيْسَ مَذْحًا أَوْ كَمَالًا
وَإِنَّمَا يُمَدَحُ بِالنَّفْيِ إِذَا
كَتَفَى نَوْمٌ وَلُغُوبٌ سِنَّةٌ
مِنْ ثَمَّ قَالَ ابْنُ سُبُكْتَكِينٍ :
بَيْنَ إِلَهِكَ الَّذِي أَنْبَتَهُ
بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ وَصَفُ رَبِّنَا
وَعَبْرَتُهَا مِنْ صِفَةِ الْإِثْبَاتِ
لِرَبِّنَا وَعَدَمٌ بِكُلِّ حَالٍ
حَوَى الْكَمَالَ مَعَ نَفْيٍ وَاحْتِذَا
وَالْعَجْزِ وَالنَّسْيَانِ وَالصَّاحِبَةِ
مَيِّزٌ لَنَا إِنْ كُنْتَ ذَا يَقِينٍ
وَبَيْنَ مَعْدُومٍ فَحَادٍ وَقْتُهُ^(١)

(١) هذه الخاتمة التي وعدنا بها قبل ، وقد جمعت قواعد نافعة حوت فوائد
جمعة ، ولفظ : «قواعد» و«فوائد» ممنوع من الصرف والألف للإطلاق لا
منقلبة عن تنوين فلا ضرورة.

القاعدة الأولى : أن يقال : إن الله تعالى موصوف بالإثبات كالعلم
والكلام والحياة وموصوف بالنفي كنفي النوم واللغوب والسنة...
قال تعالى : ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ، وينبغي أن يعلم أن النفي
ليس فيه مدح أو كمال إلا إذا تضمن إثباتاً ، وإلاً فمجرد النفي
المحض عدم محض ليس بشيء ، ومن هنا قال الإمام الصالح
محمود بن سُبُكْتَكِينٍ لمن ادعى ذلك ووصف الله تعالى بصفات =

.....

= السُّلب على سبيل النفي المحض: ميّز لنا بين هذا الرَّب الذي تثبته وبين المعدوم، فلم يُحرَّ جوابًا. وحاد عن الجواب وقته ذاك.

القاعدة الثانية

ثَانِيَةُ الْقَوَاعِدِ الْإِيمَانُ
وَذُو الْبَلَاغِ - وَهُوَ الْمُصَدِّقُ -
وَالنَّاسُ إِنْ تَنَازَعُوا فِي أَمْرٍ
فَلَيْسَ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُوَافِقَا
لِجَهْلِهِ الْمُرَادَ، ثُمَّ إِنْ عَرَفَ
فَإِنْ عَنِ الْجِهَةِ الْفُوقِيَّةِ
وَأِنْ عَنِ أَنَّ الإِلَهَ دَاخِلُ
فَالْغَرَضُ: الْمَعْنَى، وَأَمَّا لَفْظُهُ

بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ
وَإِنْ خَفِيَ، وَمِثْلُهُ مَا اتَّفَقُوا^(١)
كَجِهَةِ تَحْيِيزٍ وَغَيْرِ
نَفْيًا وَإِبَاتًا عَلَيْهِ مُطْلَقًا
إِنْ كَانَ حَقًّا قَبْلَهُ أَوْ لَيْسَ: كَفَتْ
فَذَاكَ حَقٌّ بِالْغِ الْحَثْمِيَّةِ
فِي خَلْقِهِ فَذَاكَ قَوْلٌ بَاطِلُ
فَلَمْ يَرُدَّ عَنِ النَّبِيِّ حِفْظُهُ^(٢)

(١) القاعدة الثانية: الإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى في كتابه والمبلغ عنه ﷺ وإن خفي معناه.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها.

(٢) وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا كالجهة والتحييز وغير ذلك فليس على أحد بل ولا له أن يوافق على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف المراد من قائله؛ لأنه جاهل به، فإن عرف المراد فليُنظر إن كان حقًا قبله أو ليس حقًا كَفَتْ عن الخوض في ذلك.

فمثلاً: إن عني ذاكر الجهة بالجهة: الفوقية، فذاكَ حق حتميته بالغة، =

= وإن أراد أن الإله داخل في خلقه فهو قول باطل.

إذن؛ فالغرض المعنى ومقصود القائل، وأما اللفظ فلم يرد نقله عن النبي ﷺ ولا عن السلف. ولذلك كان الوقف عن استعمال هذا ومثله أسد، وسيأتي بيانه بعد هذا .

والهاء في «قَبْلَه» بإسكانها وصلًا لغة عند بني عقيل وبني كلاب ومنه قول ابن الأَحول الأَزدي: وَمَطَوَايَ مُشْتَاقَانِ لَهُ أَرْقَانِ.

وقول الآخر: إِلَّا أَن عَيُونُهُ سَالِ وَاذِيهَا.

مسألة

وَالْجِسْمُ، وَالْجَوْهَرُ، ثُمَّ الْعَرَضُ تَحَيَّرَ، أَسْلَفْنَا لَمْ يَرْتَضُوا
وَأِنْ يَقُلْهَا مِنْهُمْ مُوَافِقُ لِيُظْهِرَ الْحَقَّ فَذَاكَ رَائِقُ
كَذَا يَقُولُ الشَّيْخُ، وَالْوَقْفُ أَسَدٌ عَنْ كُلِّ لَفْظٍ مَا بِهِ الْوَحْيُ وَرَدٌ
وَقَالَ سُخُنُونَ: مِنَ الْعِلْمِ بِهِ الصَّنْتُ عَمَّا لَمْ يَصِفْ نَفْسًا بِهِ^(١)

(١) ولفظ الجسم والجوهر والعرض لم ينطق بها السلف، ولو ارتضوها لذكروها. وقال شيخ الإسلام: «إن قالها موافق غير مخالف على سبيل الإفهام وإظهار الحق فلا بأس». كذا قال رحمه الله، غير أن الأولى والأسد الوقف والإمساك عما لم يرد ذكره وإن كان على سبيل الإفهام. وقد ظن بعض الأفاضل من ذوي النظر أن هذا من باب مخاطبة كل قوم بلسانهم.

وليس كذلك لأننا نفهمهم بمعنى ما ورد لا بمعنى ما لم يرد، ولأن هذا لو أطلق بشرط موافقة القائل الصواب في المعنى المراد لما كان لآخره حدٌ ولجاز أن يقول قائل: الله تعالى عاقل، ومرادي من ذلك أن الله حكيم يضع الشيء في موضعه، والله جسم أريد بذلك أن له يدين ووجهًا وعينًا وقدمًا وساقًا لا تشابه المخلوقين. أفصح أن يقال: إن كنت تريد ذلك وتقول: «هو جسم لا كالأجسام» =

.....

= فحق، وإن أردت بذلك تشبيهه بخلقه فهو ممتنع؟
الجواب: لا. وإذ ذلك كذلك فالصمت ههنا أقوم قِيلاً وأهدى سبيلاً،
ولذلك كان بعض السلف يقول - ومنهم سحنون -: «من العلم بالله
الصمت عما لم يصف نفسه به». والله تعالى أعلم.

القاعدة الثالثة

ثَالِثُهَا: فِي عَدَمِ الْخُرُوجِ عَنْ
 إِنَّ قَالَ قَائِلٌ: عَدَا الصِّفَاتِ، لَا
 فَإِنَّهُ يُقَالُ: لَفِظُ الظَّاهِرِ
 وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَافُنَا يَعْنُونَا
 ظَاهِرَهَا عَلَى مُرَادِ الشَّرْعِ
 ظَوَاهِرِ النُّصُوصِ، فَاحْفَظْ وَاسْتَبِنْ
 يَجُوزُ إِجْرَاءُ عَلَيْهِ مُسَجَّلًا
 كَمُجْمَلٍ وَذِي اشْتِرَاكِ ظَاهِرٍ
 بِالظَّاهِرِ: التَّمْثِيلَ بَلْ يَبْنُونَا
 فَالظَّاهِرَ الزَّمْ أَصْلَهُ كَالْفَرْعِ^(١)

(١) ظاهر النص: هو ما يحتمله النص من معنى متبادر. والواجب عدم الخروج عن ظواهر النصوص، فإن حصل ما يوجب الخروج عن مقتضى الظاهر من نقل صحيح أو عقل صريح أو ضرورة حس أو لغة كان ذلك الموجب ظاهرًا آخر يعمل بمقتضاه، وما يؤدي إلى التحريف ليس بظاهر موجب بل هو نوع من اللعب، وكذلك ما أدرج فيه العقل مما ليس له فيه مجال، ولا فرق في هذا بين نصوص الصفات وغيرها، فإن قال قائل: يعمل بالظاهر فيما عدا الصفات فإنه لا يجوز إجراؤها على ظاهرها، فجوابه أن يقال له: ماذا تريد بالظاهر؟ أتريد ما يظهر من المعاني اللاتقة بالله من غير تشبيه ولا تمثيل؟ فهذا هو مراد الشرع أم تريد بالظاهر التمثيل؟ فهذا غير مراد، ولم يكن أسلافنا يعنون بالظاهر التمثيل الذي عنيته بل كانوا يحملونه على مراد الشرع، فالواجب لزوم الظاهر وإجراء النصوص عليه في الأصول والفروع.

أَمَّا حَدِيثُ «جُعْتُ لَمْ تُطْعِمْنِي» فَأَوَّلُ مَعْنَاهُ فِي آخِرِهِ مِنْ اتِّصَالِ وَلُصُوقِ أَيِّ شَيْءٍ وَكَالسَّحَابِ بَيْنَ أَرْضٍ وَالسَّمَاءِ لَا تَجْعَلِ اللَّفْظَ نَظِيرًا لِلَّذِي مِثْلُ الْيَدَيْنِ ثُنْيَا وَالْأَيْدِي

كَذَا «الْقُلُوبُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ» وَالثَّانِ لَا يُدْرِكُ مِنْ ظَاهِرِهِ بَلْ ذَا نَظِيرُهُ هَذِهِ بَيْنَ يَدَيَّ هَلْ يَقْتَضِي مَسَّهُمَا يَا مَنْ سَمَاءٌ؟^(١) لَيْسَ نَظِيرُهُ فَهَذَا غَيْرُ ذِي مَجْمُوعَةٍ وَالْقَيْدُ غَيْرُ الْقَيْدِ

(١) والذين أوجبوا الخروج عن ظواهر نصوص الصفات غلطوا من وجهين: تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ فيخرجون عنه ظانين أن ظاهره غير مراد، وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم أنه باطل، فالأول مثل الحديث الذي رواه مسلم وفيه: «عبدني جعت فلم تطعمني...»، وكذلك حديث: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»، فقالوا في الأول: إجراؤه على الظاهر يوجب أن نقول: الله يجوع. يقال لهم: لو تأملت النص كله لتبين لكم هنا فساد ما ذهبتم إليه، فهذا معناه في آخره إذ جاء فيه: «أما علمت أن عبدني فلانًا جاع فلم تطعمه فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي». وقالوا في الحديث الثاني: ظاهر الحديث أن القلوب بين أصابع الرحمن وهذا يلزم منه الاتصال والملاصقة. فيقال لهم: هذا ليس بلازم؛ لأن لفظ بين لا يلزم منه المباشرة والملاصقة بل هذا نظير قولك: هذه بين يدي - تريد السترة مثلاً - ومثله قول الله تعالى: ﴿وَالسَّحَابُ الْمُسَحَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. وكونه بينهما لا يلزم منه المماسّة.

ومثال الوجه الثاني هذا الحديث أيضًا، فإنهم قالوا: ظاهر الحديث أن الله أصابع، والأصابع جوارح، وهذا فاسد فهو غير مراد. فإنه يقال لهم: ليس الأمر ما ظننتم من معنى فاسد، فالله تعالى له أصابع تليق به لا تشبه أصابع المخلوقين، وعلى هذا المعنى ينتفي الفساد باتفاق العقلاء.

وَتِلْكَ أُسْنَدٌ إِلَى الْمُعْظَمِ وَالْأَيْدِ فَعْلُهَا إِلَيْهَا مُنْتَمِي^(١)



(١) ومما يشبه هذا الخطأ أن يجعل اللفظ نظيرًا لما ليس نظيره كخطأ من جعل قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَّصْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] كقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِيًّا﴾ [يس: ٧١]. فيكون المراد باليد واحدًا في الآيتين وهذا خطأ؛ لأن بينهما فرقًا ثابتًا من وجوه: منها:

- أن الفعل في الأول أضيف إلى الله، وهو معنى قلبي: وتلك أسند إلى المعظم وهو الله تعالى، وأما الآية الثانية؛ فإن الفعل فيها أضيف إلى الأيدي، فظهر بطلان جعلهما نظيرين لله من هذا الوجه.

- ومنها: أن القيد في الأولى غير القيد في الثانية وذلك أن قوله تعالى: ﴿خَلَّصْتُ يَدَيَّ﴾ قيده بالباء وهو كقول القائل: صنعتُ هذا بيدي فالصانع هو فاعل الصنع ومجرور الباء هو المباشر للصنع.

وأما الآية الثانية؛ فلم يكن ذلك القيد موجودًا إذ لم يقل: «مما عملنا بأيدينا»، لكن أضاف الفعل إليها و«نا» مضاف إليها فكان المعنى: مما عملنا أنعامًا، وهو كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] أي: كسبتهم.

القاعدة الرابعة

<p>رَابِعَةُ الْقَوَاعِدِ الْعَوَالِي تَمَازُلًا - تَوْهُمًا - فِي الصِّفَةِ تَمَثُّلُهُ لِهَ مَعَ تَعْطِيلِ وَرَابِعُ: وَصِفُ الْإِلَهِ الْأَكْرَمِ مِثَالُهُ: أَنَّ النُّصُوصَ دَلَّتْ وَلَيْسَ فِي الْوَحْيِ دُخُولُهُ وَلَا فَحَسِبُوا الْوَصْفَ بِالِاسْتَوَاءِ مِثْلَ عُلُوِّ الْخَلْقِ فِي الْهَيْئَاتِ</p>	<p>ظَنَّ كَثِيرٌ مِنْ ذَوِي الْجِدَالِ فَرَّاحَ يَنْفِي وَاقِعًا فِي أَرْبَعَةٍ نَصْرَ وَنَفْيِ صِفَةِ الْجَلِيلِ بِضِدِّ تِلْكَ مِنْ صِفَاتِ الْعَدَمِ عَلَى اتِّصَافِ الرَّبِّ بِالْفَوْقِيَّةِ خُرُوجُهُ عَنْ عَالَمِ لَكِنْ عِلَّا ثُمَّ عُلُوِّ الْحَقِّ فِي السَّمَاءِ وَمِثْلُهُمْ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ^(١)</p>
--	--

(١) رابعة القواعد: أن كثيرًا من الناس ظن التماثل - على سبيل التوهم - في صفات الله تعالى بينها وبين صفات المخلوقين فذهب فهمه ينفي ذلك فوقع في أربعة محاذير:

الأول: كونه مثَّل ما فهمه من صفات الله بصفات المخلوقين.

الثاني: تعطيله للنص وما تضمنه من الصفات بسبب ما حدث في فهمه من آفة التمثيل التي وردت عليه أولاً.

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ مَنْ يَظُنُّ
فَهُوَ أَصْلٌ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِيهِ
فَدَفِي «فِي» الَّتِي لِلظَّرْفِ قَدْ تَخْتَلِفُ
بِمِثْلِ: هَذَا الشَّيْءُ فِي الْمَكَانِ
وَالْوَجْهُ فِي الْمِرَاةِ، وَالْكَلَامُ
وَكُلُّ نَوْعٍ مِنْ ذِهِ الْأَنْوَاعِ عَنْ
أَنَّ الْإِلَهَ دَاخِلَ السَّمَاءِ كَنَّ
بِلَا خِلَافٍ لِشَرْيَحِ جَهْلِهِ
بِحَسَبِ الْمَجْرُورِ، وَهُوَ يُعْرِفُ
وَالْجِسْمُ فِي الْحَيِّزِ ذُو إِنْكَانٍ
فِي وَرَقٍ تَخُطُّهُ الْأَقْلَامُ
نَظِيرُهُ يَمْتَّازُ فَافْهَمْ وَاسْتَسِنِ^(١)

= الرابع: وصفه الله تعالى بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات
والجمادات وغيرها.

مثال ذلك: أن النصوص كلها دلت على وصف الإله بالفوقية والعلو
على المخلوقات، وليس في الكتاب والسنة وصفه بأنه داخل العالم ولا
خارجه، بل الذي ورد وصفه بالعلو كما تقدم، فيحسب المتوهم أنه إذا
وصف الله بالاستواء على العرش أو بالعلو على خلقه كان ذانكم
كاستواء الإنسان وعلوه في الهيئة والفعل وغير ذلك من الصفات .
وهمزة «أربعة» في البيت الثاني مدرجة كقول أبي الأسود: يا ابا المغيرة
رُبَّ أمر مُعْضِلٍ. وقول الطرمّاح: ألا أيها الليل الطويل ألا أصبح.
وكقول الثالث: ألا ابلغ حاتمًا وأبا عليّ، بإسقاط همزات «أبا»
و«أصبح» و«أبلغ».

(١) ومن توهم أن مقتضى قوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]
أن يكون الله في داخل السموات فهو جاهل ضال باتفاق، فإن «في»
حرف متعلق بما قبله وبعده فهو بحسب ما يضاف إليه، ولهذا يفرق
بين كون الشيء في المكان وكون الجسم في الحيّز وكون الوجه في
المرآة وكون الكلام في الورق، فإن لكل نوع من هذه الأنواع خاصية
يتميز بها عن غيره، وعليه: فلو قلنا: العرش في السماء، لما استلزم
ذلك أن يكون داخلها كما تقدّم.

وَالْمُسْتَقَرُّ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ أَنَّ الْمَلِيكَ فَوْقَ كُلِّ خَلْقٍ
لِذَاكَ لَمَّا قَالَ لِلْجَارِيَةِ نَبِيُّنَا: أَيْنَ إِلَهُهُ؟ قَالَتْ
- وَقَدْ أَرَادَتْ الْعُلُوَّ -: فِي السَّمَاءِ بِفِطْرَةِ بَرِيئَةِ الْأَدْوَاءِ^(١)



(١) لما كان المستقر في قلوب الخلق أن الله المليك فوق كل خلقه كان المفهوم من قوله: إنه في السماء أنه في العلو، ومن ثم قالت الجارية حين سألها النبي ﷺ «أين الله؟»: في السماء، قالت ذلك بفطرة سليمة بريئة من الشوائب. والأدواء جمع داء.

القاعدة الخامسة

خَامِسَةُ الْقَوَاعِدِ الْمُهِمَّةُ
 مِنْ جِهَةٍ نَعْلَمُهُ وَجِهَةً
 ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ حَتَّى ﴿الْأَلْبَبِ﴾
 إِذْ نَعْلَمُ الْمَعْنَى وَلَكِنْ نَجْهَلُ
 وَاخْتَلَفَ الْفُحُولُ فِي ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾
 وَاخْتَارَهُ الْعَلَامَةُ ابْنُ حَزْمٍ
 كَالْحَبْرِ فِي قَوْلٍ، وَنَجَلِ جَبْرِ
 وَفَصَلَ الشَّيْخُ: إِنْ التَّأْوِيلُ جَا
 أَنْ خِطَابَ رَبَّنَا لِلأُمَّةِ
 نَجْهَلُهُ وَارْجِعْ لِمَعْنَى آيَةٍ
 وَاَنْظُرْ مَقَالَ الرَّاسِخِينَ الْأَلْبَابِ
 كَيْفِيَّةَ الصِّفَاتِ يَا مَنْ يَعْقِلُ
 فَلَا بُتْدَاءَ يَرْتَضِيهِ الْأَكْثَرُونَ
 وَابْنُ الْوَزِيرِ، وَاعْطَفَنَ لِقَوْمٍ
 وَهُوَ الصَّوَابُ لِلدَّلِيلِ يَفْهَرِي
 حَقِيقَةً قَفَنَ، أَوْ: الْفَسْرَ أَمْزَجَا^(١)

(١) القاعدة الخامسة: أن ما خاطبنا الله به نعلمه من وجه دون وجه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧] وقد روي عن مجاهد وطائفة: أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله. والعلماء مختلفون في الوار في «والراسخون» قيل: للاستئناف، وعليه الأكثر، =

وَلَفْظُ تَأْوِيلٍ لَهُ مَعَانِي: حَقِيقَةٌ أَوَّلُهَا، وَالثَّانِي
صَرَفُ كَلَامِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى اخْتِمَالٍ لِذَلِيلٍ وَاضِحٍ
وَالثَّالِثُ التَّفْسِيرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مُفَسِّرِي الْكِتَابِ كَابْنِ الطَّبْرِيِّ
مَعْنَى الصِّفَاتِ: مُحْكَمٌ لَا مُشْتَبِهَ لَكِنَّهَا فِي الْكَيْفِ مِنْ مُشْتَبِهٍ
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْأَشْبَهُ: بَعْضُ مَعْنَى مِنْ ذَوِي اللُّغَاتِ
مِثْلُ اسْتِمَالٍ جَاءَ فِي الصَّلَاةِ^(١)

= واختاره ابن حزم في الإحكام وغيره، وابن الوزير في «الترجيح» وغيره، وقيل: للعطف وهو لابن عباس في أحد قوليه ومجاهد، وهو الصواب للدليل القاطع، وهذا على القول بأن معنى التأويل: التفسير.

وفصل شيخ الإسلام وجمع بأحسن جمع فقال: إن فسر التأويل بالحقيقة فالوقف تام، وإن كان بمعنى التفسير فالواو للعطف، و«امزجا» بمعنى اخلطاً، والمراد الوصل، والألف فيه منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة. والجبر: بفتح الحاء وهو الأشهر، وبالكسر هو الأفصح، والمراد: ابن عباس.

(١) ولفظ «التأويل» له ثلاثة معان؛ الأول: الصفة التي يؤول إليها الكلام. والثاني: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترون به. الثالث: التفسير وأكثر المفسرين يستعمله كابن جرير وغيره. والصفات من حيث المعنى من باب المحكم إذا فسر المحكم بأنه ما اتضح معناه أو بنحوه من الأقوال وهي - أي: الصفات - من المتشابه من حيث الكيفية. والسببه بفتح فكسر: من ذهب عقله.

ولهذا يقول أبو عبيدة وغيره: الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة كما ذكروا ذلك في تفسير: «اشتمال الصماء»، فالفقهاء يعلمون تفسير ما جاء في الشرع لعلمهم بمقاصده.

وَقَسَمَ الْبَحْرُ التَّفَاسِيرَ إِلَى :
وَبَعْضُهُ الْأَخْبَارُ أَوْ مِنْ لُغَةٍ
وَالْمُحْكَمُ : الْوَاضِحُ أَوْ : مَا أَحْكَمَا
أَوْ : نَاسِخٌ أَوْ : كَانَ لَمْ يَحْتَمِلِ
غَيْرَ مُكَرَّرٍ وَقِيلَ : مَا فَهِمَ
مَعْنَاهُ مَعْقُولًا ، وَقِيلَ : مَا وَجَبَ
تَفْسِيرِ اخْتِصَّ بِهِ اللَّهُ عَلَا
وَبَعْضُهُ الْعُمُومُ مِنْ ذِي الْأُمَّةِ
مَعْبُودُنَا حَلَالَهُ وَحَرَمًا
أَكْثَرَ مِنْ وَجْهِ ، وَقِيلَ : مَا تُلِي
مَعْنَاهُ ذُو عِلْمٍ ، وَقِيلَ : مَا انْتَضَمَ
وَذُو تَشَابُهِ : بِضِدِّ مَا كُتِبَ^(١)

(١) قسم الحبر ابن عباس التفسير إلى أربعة أقسام؛ الأول: قسم اختص الله بعلمه. والثاني: يعلمه العلماء. والثالث: يعرف من لغة العرب، والرابع: يعلمه عامة الناس ولا يعذر أحد بجهله. واختلف المفسرون في معنى المحكم والمتشابه على ثمانية أقوال، ذكرت في النظم أقوالهم في المحكم وبمعرفة معناه يعرف معنى المتشابه وأشرت إلى ذلك في الآخر بقولي: «وذو تشابه بضد ما كتب».

والأقوال هي: الأول: المحكم: ما اتضح معناه والمتشابه ما لم يتضح معناه. الثاني: المحكم: ما أحكم الله حلاله وحرامه فلم تشبه معانيه، والمتشابه: ما ليس كذلك. الثالث: المحكم: الناسخ، والمتشابه: المنسوخ. الرابع: المحكم: ما لم يحتمل معناه إلا وجهًا واحدًا، والمتشابه: ما احتمل أوجهًا. الخامس: المحكم: الذي لم تتكرر ألفاظه، والمتشابه: الذي تكررت ألفاظه. السادس: المحكم: ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه، والمتشابه: ما ليس كذلك وفي الفرق بينه وبين الأول دقة. السابع: المحكم: ما انتظم معاني أحكامه معقولة، والمتشابه: ما كانت معاني أحكامه غير معقولة كأعداد الصلوات ونحو ذلك. الثامن: المحكم: الفرائض، والمتشابه: النافلة. هذا ما اشتمل عليه النظم مما جمع من كتب التفسير، ويمكن أن يكون لكل منهما أكثر من معنى، والوجه الخامس بعيد. والله أعلم.

القاعدة السادسة

وَبَعْدَهَا قَاعِدَةٌ فِي ضَبْطِ مَا
إِذْ لَا يَصِحُّ الْاعْتِمَادُ مُسَجَّلًا
شَيْئَانِ مَوْجُودَانِ إِلَّا اشْتَرَكَا
فَمَنْ نَفَى كَرَاهَةَ التَّشْبِيهِ
مُتَمَتِّعٌ تَمَاطِلٌ، وَإِنْ تُرِدْ:
فِي كُلِّ مَا تُثَبِّتُهُ وَالْمِثْلُ
إِنَّ الْحَيَاةَ - مَثَلًا - مُشْتَرَكَةً
فِي مُطْلَقِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِي يُخَصَّ
وَاخْتَلَفُوا إِذْ فَسَّرُوا التَّشْبِيهَا

يَجُوزُ لِلَّهِ وَمَا لَا يُنْتَمَى
عَلَيْهِمَا مُجَرَّدَيْنِ حَيْثُ لَا
فِي صِفَةٍ وَافْتِرَاقًا هُنَالِكَ
قِيلَ لَهُ: مِنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ؟
مِنْ بَعْضِ وَجْهِ فَهُوَ أَمْرٌ يَظْهَرُ
مِنْ كُلِّ وَجْهِ بَاطِلٌ لَا يَعْمَلُو
بَيْنَ إِلَهِ الْخَلْقِ وَالْمَلَائِكَةِ
لَمْ تَقْعِ الشَّرَكَةُ فِيهِ فَلْيُخَصَّ
وَحُلْفُهُمْ دَلٌّ عَلَى مَا فِيهَا^(١)

(١) القاعدة السادسة: في ضبط ما يجوز لله نسبه وما لا يجوز إذ الاعتماد في هذا الباب على مجرد نفي التشبيه، أو مطلق الإثبات من غير تشبيه ليس بسديد، وذلك أنه: ما من شيئين إلا بينهما جهة افتراق وجهة تلاق، فالنافي إن اعتمد فيما ينفيه كراهة التشبيه، قيل له: إن أردت أنه مماثل من كل وجه فهذا باطل، وإن أردت أنه مشابه من بعض الوجوه لزمك طرده في كل ما تثبته، ومعلوم أنه بهذا التفسير يمتنع التشبيه إذ لا يقول به عاقل، فإذا قلنا: صفة الحياة اتصف بها الباري جل ذكره =

= والملائكة والبشر - والجميع متفق في مطلق الاتصاف بها - لم يقتض ذلك المشابهة لأنهم لم يشتركوا فيما يختص به كل متصف بها . فتبين بهذا؛ أنه إن قصد بالنفي التشابه من كل وجه بين الخالق والمخلوق لم يقل به أحد، وهذا أحد الوجهين اللذين يعلم بهما أنه لا يصح الاعتماد في ضابط النفي على مجرد نفي التشبيه .

الوجه الثاني: أن الناس اختلفوا في تفسير التشبيه فالمعتزلة يرون أن من أثبت لله تعالى علماً قديماً مشبّه، والأشعرية لا يرون ذلك؛ ويقولون: هذه الصفات قد تقوم بما ليس جسمًا، ويرون أن العلو لا يقوم إلاً بجسم؛ وإثباته يستلزم التشبيه.

والمراد من لفظ: «مسجلًا» مطلقًا ومعناه - كما في القاموس -: المبدول المباح لكل أحد.

فصل

وَضَابِطُ النَّفْيِ - هُنَا - أَنْ تَمْنَعَا
وَضَابِطُ الْإِثْبَاتِ: أَنْ لَا تُثَبِّتَا
وَلَوْ يَجُوزُ كُلُّ إِثْبَاتٍ بِلَا
وَصَفِّ بِحُزْنٍ وَبُكَاءٍ مَعَ قَوْلِنَا
عَيْبًا وَنَقْصًا وَتَمَائِلًا دَعَا
إِلَّا الَّذِي لِنَفْسِهِ قَدْ أَثْبَتَا
تَشْبِيهِهِ لَجَازَ أَنْ لَا يُحْظَلَّ
لَيْسَ كَحُزْنٍ وَبُكَاءٍ مِثْلِنَا^(١)



(١) والحاصل أن ضابط النفي هو: نفي كل صفة عيب عن الله كالعمى والصمم، ونفي كل نقص في كماله كنقص علمه أو عزته، ونفي مماثلته للمخلوقين، وضابط الإثبات أن لا نثبت لله تعالى إلا ما أثبت لنفسه من صفات كمالية دون تشبيهه أو تمثيل أو تحريف أو تعطيل، وهذا الضابط يتضمن أمرين:

الأول: أن لا نثبت لله إلا ما أثبتته لنفسه .

الثاني: إثباتنا لما ثبت مبنًى على أساس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أي: على نفي التشبيه، ولو جاز كل إثبات مع نفي التشبيه لجاز أن لا يمنع وصف الله تعالى بالحزن والبكاء مع القول بأنه يحزن لا كحزن المخلوق ويبكي لا كبكائه .

تنبيه

ثُمَّ الَّذِي تَضَمَّنَ التَّضْدِيقًا بِالشَّرْعِ وَالْأَقْدَارِ ثُمَّ سَيَقَا
بَيْنَ ثَنَائَا النَّظْمِ تَبْرًا نُظْمًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَفْهَمَا^(١)



(١) ذكر في أول التدمرية وفي النظم الكلام في التوحيد (توحيد الله تعالى في أفعاله وأسمائه وصفاته) الذي هو من باب الخبر الدائر بين النفي والإثبات، وما نظم من التدمرية هو من هذا الباب، وأما القسم الثاني الذي في الشرع والقدر فقد سبق الكلام عنه في أول النظم وسيأتي ما يتبعه والحمد لله على ما يسر وقدر. و«ثم» بمعنى: هناك.

و«ثنایا»: جمع ثنّیّة. و«تبرًا»: حال، وهو فتات الذهب والفضة أو هما معًا.

بَابُ

فيمن أثر مذهب الخلف، والردّ عليهم
وهو مما تضمنته «الحموية»

وَالْمُؤَثِّرُونَ مَذْهَبَ الْأَخْلَافِ
هُمْ أَتَوْا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا السَّلَفَ
مِنْ غَيْرِ فَهَمَ، وَطَرِيقُ الْخَلْفِ
مِنْ ثَمَّ قَالُوا: إِنَّهُمْ هُمْ أَسْلَمُ
أَكْذَبَهُمْ قَوْلُ الَّذِينَ خَاضُوا
عِنْدَ مَمَاتٍ (خُضْتُ بَحْرَ الْيَمِّ
نَهَايَةُ الْإِقْدَامِ بِالْعَقْلِ عَقَانِ
عَلَى طَرِيقِ مَنْهَجِ الْأَسْلَافِ
قَدْ حَفِظُوا الْوَحْيَيْنِ حِفْظًا وَرَفًا
فَهُمُ الْمَعَانِي يَا لَهُ مِنْ جَنَفٍ
وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ وَأَحْكَمُ^(١)
ثُمَّ تَأَمَّلُوا وَهُمْ مِرَاضُ
وَالْآنَ ذَا أُمُوتٍ مِثْلَ أُمِّي
وَأَكْثَرُ السَّعْيِ لِعَالَمٍ ضَلَالٍ

(١) والمؤثرون مذهب الخلف على مذهب السلف أتوا من حيث إنهم ظنوا أن السلف طريقتهم حفظ الكتاب والسنة والإيمان بهما دون فقه، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة بأنواع المجازات وغرائب اللغات، ومن ثمَّ قالوا: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم. والأخلاف: جمع خلف كالأسلاف، و«ورف» الظل: امتد وطال.

(سَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ كُلِّ مَعْلَمٍ
وَأَكْثَرُ النَّاسِ شُكُوكًا ذُو الْكَلَامِ
مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ الْهَادِ لَمْ
ذَا الْبَابَ وَهُوَ مُوَضِّحٌ لَهُمْ جَمِيعُ
وَهُوَ عَلَى الْبَيْضَاءِ صَحْبُهُ تَرَكَ
وَقَدْ رَوَوْا مَقَالَةً عَنْ أَبِي ذَرٍّ
مَقَامَ حَقٍّ قَالَ: بَدَأَ الْخَلْقَ

فَمَا رَأَيْتُ غَيْرَ عُقْبَى النَّدَمِ
عِنْدَ مَمَاتِهِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ^(١)
يُبَيِّنُ الدِّينَ جَمِيعًا وَكَتَمَ
أُمُورَهُمْ حَتَّى الْكَلَامَ فِي الرَّجِيعِ
فَمَنْ يَزِغْ عَنْ نَهْجِهِ فَقَدْ هَلَكَ^(٢)
وَفِي الْبُخَارِيِّ: قَامَ فِينَا عَنْ عُمَرَ
حَتَّى حِسَابِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْحَقِّ

(١) وهؤلاء الخلف الذين عنوهم أكذبوا قولهم هذا وادعاءهم إكذاباً عُرف من اضطرابهم ونهاية أحوالهم وما انتهت إليه أقدامهم إذ يقول قائلهم عند احتضاره وهو أبو المعالي الجويني: لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم... إلى أن يقول: وها أنا أموت على عقيدة أُمِّي. وقال بعض رؤسائهم وهو الفخر الرازي:

نهاية إقدام العقول عَقَالٌ وأكثر سعي العالمين ضلال في أبيات له بهذا المعنى.

وقال ثالثهم؛ وهو الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيَّرت طرفي بين تلك المعالم فلم أر إلا واضعاً كفَّ حائر على ذَقْنٍ أو قارعاً سِنَّ نادم ويقول رابعهم:

أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام.

و«الإمام» هو: الغزالي. و«مراض»: جمع مريض؛ ككريم وكرام.

(٢) من المحال أن يكون الهادي ﷺ لم يبين الدين كله وكتَمَ هذا الباب الجليل المتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته؛ وهو قد بيَّن لأصحابه كل شيء حتى الخراءة، ومحال أن يكون ذلك أيضاً وهو القائل: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك».

فَكَيْفَ يَجْرُؤُ مُسْلِمٌ دُونَ مُسْكَةٍ وَأَنْ يَكُونَ فَاضِلُوا الْأَسْلَافِ كَيْفَ يَكُونُ وَارِثُوا الْفَلَاسِيفَةَ بَيْنَ الضَّلَالِ جَمَعُوا وَالْجَهْلِ قَالُوا: وَمَا لَا يَرْتَضِيهِ الْفِكْرُ بَلْ بَعْضُ مَعْنَى قِيلِهِمْ: إِنَّ الْكِتَابَ وَالْجَنْدُ أَضَلُّ هَذِهِ الْمَقَالَةُ وَظَهَرَ فِي ثَالِثِ الْمَثَلِينَ

مِنْ نُهْيَةٍ عَلَى مَقَالِ الضَّلَّةِ قَدْ غَفَلُوا عَنْ لَقَمِ الْأَخْلَافِ أَكْثَرَ مِنْ صَحْبِ الرَّسُولِ مَعْرِفَةِ كَحَشَفِ صَاحِبِ سُوءِ كَيْلٍ^(١) أَوْ الْقِيَّاسُ فَهُوَ رَدُّ نُكْرٍ لَا يُهْتَدَى بِنَصِّهِ إِلَى الصَّوَابِ نَقَلَهَا جَهْمٌ إِلَى الْجَهْمِيَّةِ فِي كُلِّ بِشْرِ الدِّنِيِّ الْمَفْتُونِ^(٢)

(١) رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ قَالَ: «لَقَدْ تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يَقْلِبُ جَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا». وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا فَذَكَرَ بَدْءَ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مِنْ حَفِظِهِ وَنَسِيَهُ مِنْ نَسِيهِ».

فَكَيْفَ يَجْرُؤُ بَعْدَ هَذَا مِنْ لَهُ مَسْكَةٍ مِنْ عَقْلِ عَلَى الْقَوْلِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ الضَّالَّةِ؟

أَمْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ السَّلَفُ الصَّالِحُ قَدْ غَفَلُوا عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي يُزَعَمُ أَنَّهَا حَقٌّ.

أَمْ كَيْفَ يَكُونُ أَوْلَئِكَ الْخَلْفُ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْفَلَاسِيفَةِ أَكْثَرَ مَعْرِفَةٍ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَتَاللَّهِ لَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالْجَهْلِ وَالْحَشَفِ وَسُوءِ الْكَيْلِ إِذْ جَعَلُوا الْخَلْفَ وَمَذْهَبَهُمْ خَيْرًا وَأَعْلَمَ وَأَحْكَمَ مِنَ السَّلَفِ وَمَذْهَبِهِمْ.

و«يَجْرُؤُ» بِالْوَاوِ: يَجْتَرِءُ. وَ«مَسْكَةٍ» بَضْمِ الْمِيمِ: الْعَقْلُ. وَ«الضَّلَّةُ» بِكَسْرِ الضَّادِ: الضَّلَالَةُ. وَ«الْلَقَمُ»: الطَّرِيقُ مُعْظَمُهُ أَوْ وَسْطُهُ.

(٢) ثُمَّ أَتَى أَوْلَئِكَ النِّفَاةَ بِبَاطِلَةٍ أُخْرَى فَقَالُوا: كُلُّ مَا لَا يَرْتَضِيهِ الْعَقْلُ =

فَلَيْسَ لِلْأَقْوَامِ حُتْمًا قَاعِدَهُ ذَاتُ قَرَارٍ تَنْتَهِي بِفَائِدَهُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ عَقْلٍ يُوزَنُ بِهِ الْكِتَابُ وَالْهُدَى وَالسُّنَنُ
وَكُلُّ مُؤَثِّرٍ عَلَى النَّقْلِ الْهَوَى حَلٌّ عَلَيْهِ غَضَبٌ فَقَدْ هَوَى
وَالنَّقْلُ وَالْعَقْلُ ذَوَا وَفَاقٍ إِنْ صَحَّ ذَا وَذَاكَ بِاتِّفَاقٍ
فَإِنْ تَعَارَضَا فِيمَا الْعَقْلُ لَيْسَ صَرِيحًا أَوْ يَكُونُ النَّقْلُ
فِي ذَلِكُمْ قَدْ صَنَّفَ الْحَرَّانِي دَرَّةَ التَّعَارُضِ الْعَظِيمِ الشَّانِ^(١)



= والقياس فهو ردّ، وثلثوا بما هو أشنع من ذلك فقالوا ما مضمونه: إن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الحق، وإن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله.

وأصل هذه المقالة - مقالة التعطيل كتعطيل الاستواء -، «الجعد بن درهم» أخذها عن اليهود ونقلها عنه جهم بن صفوان، ولقّنها أصحابه وانتشرت في حدود المائة الثالثة على لسان بشر بن غياث المرّسي.

(١) فليس لهؤلاء القوم قاعدة مستقرة تنتهي بما يفيد، فيا ليت شعري إذ قدّم هؤلاء عقولهم بين يدي الوحي أي عقل يوزن به الكتاب والسنة، وإن كل من آثر هواه وعقله على النقل حل عليه غضب من الله وقد هوى في مهامه الردى، فالعقل والنقل متفقان إن كانا صحيحين باتفاق العقلاء، فإن تعارضا فإما أن يكون العقل غير صريح أو النقل غير صحيح، والصريح في اللغة: الخالص من كل شيء، وفي هذا صنف الإمام العلامة أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني كتابه: «درء تعارض العقل والنقل»، والمسمى أيضًا: «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول».

ذكر المنحرفين عن طريق الحق وهم أهل التخييل والتأويل والتجهيل

وَبَعْضُهُمْ قَالَ: الَّذِي جَاءَ بِهِ
وَاخْتَلَفُوا هَلْ عَلِمَ الْحَقَائِقُ
وَأَهْلُ تَأْوِيلٍ يَقُولُونَ: قَصْدُ
وَأَهْلُ تَجْهِيلٍ يَقُولُونَ هُنَا:
فِي تِلْكَ الصِّفَاتِ وَالْأَسْلَافِ
مُحَمَّدٌ تَخِيلٌ عَنْ رَبِّهِ
مِنْ لَفْظِهِ أَمْ كَانَ غَيْرَ ذَائِقٍ
مَعْنَى بِهَا، وَلَمْ يُبَيِّنْ لِأَحَدٍ
لَمْ يَعْرِفِ النَّبِيُّ مَعْنَى وَحِينًا
وَجَبْرَتَيْلُ مَعَهُمْ يُضَافُ^(١)

(١) المنحرفون عن طريق الحق والاستقامة ثلاث طوائف: أهل التخييل،
وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

فأهل التخييل: وهم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم يقولون: إن ما جاء
به محمد ﷺ من أمر الإيمان... إلخ هو من نوع التخييل للحقائق
ليتنفع به الجمهور، واختلفوا هل علم الحقائق أم لا؟ قولان لهم.
وأهل التأويل يقولون: النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها
الرسول أن يعتقد الناس الباطل؛ ولكن قصد بها معاني، لكن لم يبين
تلك المعاني لأحد ولا دل عليها. وأهل التجهيل - وهم كثير - ممن
ينتسب إلى السنة والسلف يقولون: النبي لم يعرف معنى ما أنزل عليه =

.....

= من آيات الصفات ولا الصحابة بل ولا أمين الوحي جبريل عليه السلام.
و«جبرئيل» في النظم بفتح الجيم والراء بعدها مكسورة لغة وقرىء بها
في السبع.

القول في أسماء الله تعالى

أَسْمَاؤُهُ دَلَّتْ عَلَىٰ عُلْيَائِهِ
وَكُلُّهَا تَدُلُّ إِمَّا: ضَمْنًا،
وَصَوَّبَ التَّوْقِيفَ فِيهَا وَاعْمَلِ
وَحِفْظَهَا الدَّعَا بِهَا الثَّنَاءُ
وَعَمَلًا أَبُو الْوَفَا يَخْتَارُ
وَالْحَكَمِيُّ قَالَ فِي الْمَعَارِجِ
وَجَمَعُهَا مَبْنِي عَلَى التَّوْقِيفِ
وَكُلُّ نَصْرٍ عَدَمًا فَلْيُنْبَذِ

فِي الْفَوْقِ وَالشَّانِ وَكِبَرِيَائِهِ
أَوْ النِّزَامًا، أَوْ طَبَاقَ الْمَعْنَى
بِمَا يَصِحُّ وَاتَّبَعَ الْحَقُّ الْجَلِيلِي
عَلَيْهِ كُلُّهُ هُوَ الْإِحْصَاءُ
وَقَالَ بِالْإِطَاقَةِ الْأَخْيَارُ
بِفَهْمِهَا وَعَمَلٍ فِي الْخَارِجِ
وَمَا أَتَى بِعَدَدٍ مَعْرُوفٍ
لِضَعْفِهِ مِثْلُ مَزِيدِ التِّرْمِذِيِّ^(١)

(١) أسماء الله تدل على علوه في الشأن والقهر وال فوقية، وهي تدل على الذات مطابقة، وعلى الصفات التي اشتقت منها ضمناً، وعلى الصفات الأخرى التي لم تشتق منها التزاماً، والصواب أنها توقيفية ولا يسمّى الله إلاّ بما سمى به نفسه وأطلقه عليه رسوله، وقد اختلف في معنى الإحصاء الوارد في قول النبي ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة»، فقيل: المراد بذلك حفظها، وقيل: الدعاء بها والثناء، وقيل: أن يكون عاملاً بمقتضاها مقتدياً بما يسوغ الاقتداء به مقراً بما يختص معناه بالجبار =

وَبَعْضُهَا يُذَكِّرُ مِثْلُ الْمَانِعِ مَعَ الَّذِي قَابَلَهُ حَتْمًا فَعِ
وَمَا أَتَى بِلَفْظَةِ الْقَدِيمِ نَصٍّ وَاسْتَعْمِلِ «الْأَوَّلَ» إِذْ عَلَيْهِ نَصٌّ



= جل جلاله -، واختاره أبو الوفاء ابن عقيل، وقيل: المراد الإِطاقة، أي: يطيق القيام بحقها والعمل بها. واستظهر العلامة حافظ الحكمي في «معارج القبول» أن معنى ذلك: معرفتها والقيام بعبوديتها. وهو قريب من الذي قبله، والأول ليس بشيء.

وجمع هذه الأسماء التسعة والتسعين مبني على التوقيف، ولم يأت ذكرها مفصلة بعدد معين. والزيادة التي رواها الترمذي وفيها ذكر الأسماء مطرحة ضعيفة .

مسألة

وَكُلُّ وَصْفٍ أَوْهَمَ النِّقْصَ امْنَعِ كَالْمَكْرِ وَالْكَيدِ وَالِاسْتِهْزَاءِ
إِطْلَاقُهُ إِلَّا لِمَا لَهُ دُعَى وَالنَّسِي وَالْخِدَاعِ فِي «النِّسَاءِ»
تَبَايَنْتِ أَسْمَاؤُهُ فِي الْوَصْفِ جَمِيعُهَا وَذَاتُهُ بِالْخُلْفِ^(١)

(١) من أسماء الله تعالى ما لا يطلق على الله إلا مع مُقَابِلِهِ وهو ما إذا أُفرد أوهم النقص كالمعطي المانع، والضرار النافع ولم تأت في الوحي مفردة.

وأما نحو: المنتقم فلم يأت إلا مع متعلقه نحو: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]. وجاء بإضافة ذو إلى الصفة المشتق منها نحو: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٧]. وأطلق المتكلمون وبعض العلماء لفظة «القديم» على الله، ولم يأت بها نصٌّ صحيح صريح من الوحي وورد «الأول» اسمًا لله تعالى، ونحن بما ورد في غنية عما لم يرد.

وهناك أوصاف أطلقها الله تعالى على نفسه من باب الجزاء والمقابلة والمشاكلة، كالمكر والكيد والاستهزاء والنسي والخداع والملل فلا يقال عن الله - على سبيل الإطلاق -: مكر ولا كائد أو يمكر أو يكيد. وأسماءه تعالى متباينة كلها من حيث الصفة فالكريم فيه معنى غير ما في الرحيم والجبار، وهي في ذاته بخلاف ذلك، إذ المسمى واحد جلّ جلاله. =

.....

= و«حَتَمًا» مصدر. و«فع» كلمتان. و«نَصْر» الأولى : بفتح النون، والثانية : بالضم، الأولى : اسم، والثانية : فعل ماض مبني للمفعول، ومعنى : «في النساء»، أي : الوارد في سورة النساء ذِكره، والخلف بالضم : الاختلاف، والمقصود : اختلاف الذات عن الصفة في ذلك.

فصل في المعية

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: مَنْ أَنْكَرَا
وَابْنُ الْمَدِينِيِّ سَأَلُوهُ عَنْ ﴿مَا
وَعَنْ أَبِي زُرْعَةَ حِينَ سُئِلَا
وَعِلْمُهُ كُلِّ مَكَانٍ ثَابِتٌ
وَلَفْظٌ مَعٍ إِذَا أُظْلِقَتْ فَقَارِنِ
فَلِنْ بِمَعْنَى قَبِدَتْ فَهِيَ لَهُ
وَقَدْ أَتَتْ: لِلنَّضْرِ وَالتَّأْيِيدِ فِي

أَنَّ الْإِلَهَ فِي السَّمَاءِ كَفَرَا
يَكُونُ مِنْ تَجَوَّى ﴿فَسَمَّى الْعِلْمَا
أَجَابَ: رَبُّنَا عَلَى الْعَرْشِ عَلَا
مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَا عَلَيْهِ لَعْنَةُ^(١)
مِنْ غَيْرِ مَسٍّ وَاجِبٍ مُقَارِنِ
كُنَحُو سَارَ وَالنُّجُومُ مَعَهُ
﴿مَعَكُمْ﴾ ﴿مَعَ الَّذِينَ﴾ فَأَعْرِفَ^(٢)

(١) قال أبو حنيفة - وقد سئل عن من قال: لا أعرف ربِّي في السماء أم في الأرض - فقال: قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وسألوا علي بن المديني عن آية: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] فأجاب بما حاصله: العلم: أي: معهم بعلمه. وروى عن أبي زرعة الرازي: أنه سئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [٥]، فقال: تفسيره كما نقرأ: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، ومن قال غير هذا عليه لعنة الله.

(٢) كلمة «مع» إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة، فإذا قيدت بمعنى من المعاني نحو: سار =

.....

= والنجوم معه؛ دلت على المقارنة في ذلك المعنى.

وقد أتت في الذكر مرادًا بها النصر والتأييد نحو: ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾
[النحل: ١٢٨] و﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ [طه: ٤٦]. والواو في «والنجوم»
للاستئناف ومنع أن تكون للمعية لفظ «معه» بعده.

فصل في الاستواء

مَعْنَى اسْتَوَى عَلَا. اسْتَقَرَّ، ارْتَفَعَ
وَلَاَمَ أَهْلُ السَّنَةِ اللَّامَ الَّتِي
عِشْرُونَ وَجْهًا تُبْطِلُ اسْتَوَى، وَفِي
هَذَا، وَإِنَّ الْأَثَرَ الَّذِي رَوَوْا
تَفْسِيرَهُ اسْتَوَى بِالْإِسْتِيْلَاءِ
وَصَعِدَ، وَالْجَرُّ بَعْدُ وَقَعَا
زَيْدٌ كُنُونٌ حِنْطَةٍ فِي حِطَّةٍ
نُوزِيَّةٍ «الزَّرْعِيَّ» ذَكَرَهَا يَفِي
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَفِيهِ قَدْ حَكَّوْا
دُو ظُلْمَةٍ، ظُلْمَةٍ، ظُلْمَاءٍ^(١)

(١) لفظ استوى في القرآن وفي لغة العرب يأتي بمعنى علا وارتفع، واستقر، وصعد، وكلها تتعدى بعلى أو إلى، وتأتي «استوى» بمعنى تم غير مقرونة بجر.

ورد أهل السنة رضي الله عنهم تفسيرها باستولى من عشرين وجهًا ذكرها الزرعي «ابن القيم» في «النونية»، وهو نوعٌ من التحريف المشتمل على زيادة كزيادة اليهود النون في «حطة» إذ أمروا بأن يقولوها فقالوا: حنطة؛ فكان الشبه من هذا الوجه، والأثر المروي عن ابن عباس، وفيه: «أنه سئل عن معنى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فقال: استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان»؛ حديث منكر فيه عبدالله بن داود الواسطي =

.....

= وعبدالوهاب بن مجاهد، وإبراهيم بن عبدالصمد، وهو مجهول،
والأولان ضعيفان.

وظلمة الأولى بسكون اللام والثانية بالضم لغة. والظلمات الثلاث إشارة
إلى أن الإسناد اشتمل على ثلاث ظُلم.

فصل

وَالْوَجْهُ وَالْعَيْنَانِ وَالْيَدَانِ وَالسَّاقُ قَدْ جَاءَ بِهَا الْوَحْيَانِ
مُضَعَّفٌ لَفْظُ الشُّمَالِ الْوَارِدُ فِي مُسْلِمٍ وَصَحَّحَ الْأَمَاجِدُ
وَلَفْظُ شَيْءٍ مَعَ شَخْصٍ وَرَدَا فِي وَحِينًا وَزِدَ عَلَيْهَا أَحَدًا^(١)

(١) «الوجه» و«العينان» و«اليدان» و«الساق» من صفات الله تعالى ورد بها الكتاب والسنة.

واللفظ الذي رواه مسلم وفيه: «ثم يطوي الأرض بشماله» تفرد به عمر بن حمزة العمري، وهو ضعيف، وأشار إلى تفرد به البيهقي وابن حجر وغيرهما.

وقد ثبت في مسلم وغيره أن «كلتا يديه يمين» وكل من المصحح والمضعف يقول بمعناه، ولفظ: «شيء» و«شخص» و«أحد» كلها وردت صفات لله تعالى. قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ [الأنعام: ١٩] وفي البخاري عن النبي ﷺ: «لَا شَخْصَ أَغِيرَ مِنْ اللَّهِ»، والشخص في اللغة: ما علا وارتفع وظهر، وفي الحديث إثبات الغيرة (بفتح الغين) صفة للباري جل جلاله، وفي «الفتح» عند هذا الحديث نقل ابن حجر قول ابن بطال: «أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شخص لأن التوقيف لم يرد به». وهذا الحديث يبطل دعوى الإجماع المتوهم وعلته.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَمَّ وَجَهُ اللَّهِ﴾^(١) أَي: قَبْلَةُ اللَّهِ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ أَوْ أَمْرِهِ أَوْ قُرْبِ أَيِّ فِي الْجَنَّةِ لَيْسَتْ مِنَ الصِّفَاتِ عِنْدَ الْفَقِيهِ^(٢) وَالْعَرْشُ لَا يَخْلُو مِنْ اسْتَوَاءٍ وَبَعْضُهُمْ بِعِلْمِهِ قَدْ يَعْضُدُهُ وَالْهَدْيُ فَهُوَ مَثَلُ السَّرَابِ فِي أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَغُرُجُ الْخَلْقِ وَالْفِعْلُ فِي إِشَارَةِ الرَّسُولِ بِعِنْدَ وَالْفَوْقِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ^(٣)

(١) قول الله تعالى: ﴿فَتَمَّ وَجَهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، معناه: قبلة الله، وليست من آيات الصفات. والوجه هنا بمعنى الجهة.

وقول الله تعالى: ﴿فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] كذلك ليست من آيات الصفات لأن الآية سيقت لبيان تحسر الكافرين على ما فرطوا في طاعة الله والمفسرون في تفسيره على أقوال: قيل: في طاعة الله. وقيل: أمر الله. وقيل: في طلب قرب الله وجواره؛ أي الجنة. وقيل: في حق الله. وقيل: في ذكره. هذه خمسة أقوال وبينها تقارب، والله أعلم.

(٢) والله تعالى قريب من عباده مع علوه على عرشه. وقربه أو نزوله إلى السماء الدنيا لا يعني خلو العرش من استواء الله عليه، ومن أهل العلم من يقيد قربه بذاته، ومنهم من يقيده بالعلم، والقيد ما لم يكن عن توقيف ليس بشيء، والنصوص الدالة على علو الله تعالى وفوقيته لا تحصي كثرة، من ذلك العلو نحو: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَقَّ إِنَّا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ =

= أَعْلَى الْكَبِيرِ ﴿٢٣﴾ [سبأ: ٢٣]، وصريح الفوق نحو: ﴿وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، والاستواء نحو: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] وعروج الملائكة نحو: ﴿تَرْجُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [المعارج: ٤]، والصعود نحو: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُورَثُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

والنزول كحديث النزول وآيات الإنزال، وما فعله الرسول ﷺ من رفع إصبعه مشيرًا إلى السماء قائلاً: «اللَّهُمَّ فاشهد»، ومثل ذلك التصريح بـ«عند» نحو: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، ونحو: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوَارِ الْظَالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]، وبالفوق مثل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]. ولفظ «يعضده» كينصره وزنًا ومعنى.

فصل في كلام الله

كَلَامُ رَبَّنَا بِصَوْتٍ يُسْمَعُ هَذَا هُوَ الْمَأْثُورُ وَالْمُتَّبَعُ
وَلَمْ يَزَلْ مُكَلِّمًا إِذَا يَشَاءُ مَتَى يَشَاءُ مَنْ يَشَاءُ كَيْفَ شَاءَ
وَإِنَّ مَعْنَى ﴿تُحَدِّثُ﴾ فِي اقْتِرَبَا وَ«الشُّعْرَاءُ» ذُو نُزُولٍ قَرُبَا
وَقَائِلٌ بِخَلْقِهِ قَدْ كَفَّرَا خَمْسُ مِثْنَيْنِ مِنْ سَرَّاسِيرِ الْوَرَى
وَالطَّبْرَانِي الرَّضَا وَاللَّالِكََا نَبِيٌّ وَذُو الصَّوَاعِقِ الْكُفْرَ حَكَى
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ كَذَاكَ الْأَمْرُ وَالْأَمْرُ غَيْرُ الْخَلْقِ ذَاكَ أَمْرٌ^(١)

(١) وكلام ربنا بحرف وصوت هذا هو المأثور والمتبع للأدلة الصريحة في ذلك، ولم يزل تعالى مكلِّمًا من شاء متى شاء إذا شاء وكيف شاء. وقوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ﴾ [الأنبياء: ٢] في ﴿اقْتَرَبَ﴾ والألف للإطلاق، وفي «الشعراء» معناه النازل قريبًا، وجعله القائلون بخلق القرآن دليلًا على ذلك.

ومن قال بخلق القرآن من أتباع جهنم وغيره فقد كفره نحو خمس مئين من العلماء، حكى ذلك الطبراني واللالكائي وابن القيم في الصواعق وحكاها عنهما في «النونية». والسرَّاسير جمع سُرْسُور بضم السينين: العالم الفطن الدخال في الأمور والخاص من الأصحاب والحبیب، والمراد الأول هنا.

=

.....

= وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قال السيوطي
في «الإكليل»: استدل به ابن عيينة على أن القرآن غير مخلوق لأن
«الأمر» الكلام وقد عطفه على «الخلق» والعطف يقتضي المغايرة.

كتاب الإيمان

إِقْرَارُ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقُ وَعَمَلُ هَذَا هُوَ التَّحْقِيقُ
يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ كَالصِّيَامِ وَنَقْصُهُ بِعَمَلِ الْآثَامِ
وَهُوَ مَعَ الْإِسْلَامِ دُوْرُ زِيَادَةٍ فَإِنْ تَفَرَّقَا فَلَا زِيَادَةَ
وَالْمُرْتَضَى جَوَازُ إِنِّي مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ رَبِّي، وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ
وَشُعْبُ الْإِيمَانِ جَاءَ فِي الْخَبَرِ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ، وَسِتُّونَ أَبْرُ
وَلابنِ حَبَّانَ كَلَامٌ حَسَنٌ فِي الْفَتْحِ عَنْهَا، عُدَّ إِلَيْهِ أَحْسَنُ^(١)

(١) الإيمان: قول وتصديق وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والإيمان إذا اجتمع مع الإسلام في نصّ فهو الإسلام وزيادة، وهذا معنى قولهم: إذا اجتمعا افترقا، وإذا ذكر كل منهما وحده فلا زيادة وهو المراد بقولهم: إذا افترقا اجتمعا، وبسط الكلام في ذلك محرزاً لا يحتمله مثل هذا التعليق ومثله الخلاف في قول القائل: أنا مؤمن إن شاء الله.

والمرتضى جواز ذلك يقوله المؤمن لا على سبيل الشك في حاله وقتها بل على سبيل التحقق حالاً والرجاء مآلاً، وهو قول حسن لما فيه من حسن الأدب. وشعب الإيمان نحو سبعين شعبة لم يأت ذكرها مفصلاً في شيء من النصوص. ولابن حبان كلام حسن في تفصيل ذلك نقله ابن حجر في الفتح فليرجع إليه.

فصل في الإيمان بالملائكة

ثُمَّ الْمَلَائِكُ: عِبَادٌ مُكْرَمُونَ
 جِبْرِيلُ ذُو الْوَحْيِ، وَإِسْرَافِيلُ
 وَمِنْهُمْ ذُو الْحَنْفِ، جَاءَ فِي الْأَثَرِ
 وَهَلْ هُمْ أَفْضَلُ مُظْلَقًا أَمْ
 خُلِفَ لَهُمْ، وَالتَّرْكُ أَوْلَى إِذْ لَا
 هُمْ بِإِعْتِبَارِ الْإِبْتِدَاءِ أَفْضَلُ مِنْ
 لِلَّهِ لَا يَعْصُونَهُ مَا يُمْرُونَ
 ذُو النَّفْخِ، وَالْأَمْطَارِ مِيكَائِيلُ
 عِزْرِيلُ لَكِنْ رَفَعَهُ لَمْ يُعْتَبَرْ
 مِنْ عِبْدِهِ الْمُؤْمِنِ أَمْ عَكْسَ نُمِي
 فَرَعُ هُنَا، وَالشَّيْخُ قَالَ قَوْلًا:
 مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا وَفِي الْأُخْرَى اِغْكِسَنَّ^(١)

(١) والملائكة عباد مكرمون خلقوا من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهم بحسب ما كلفوا به أقسام: فمنهم: الموكل بالوحي وهو جبريل، وإسرافيل بالصور نقل فيه الحليمي الإجماع، ووردت فيه أحاديث لا تخلو من مقال، وروي ما يفيد أن معه ملكًا آخر ينفخ، وفي «الفتح» حول هذا بحث مفيد في شرح الحديث رقم (٦٥١٨)، وميكائيل بالمطر، روي ذلك مرفوعًا في الطبراني وغيره. ومنهم: ملك الموت الموكل إليه قبض الأرواح، وجاء في الأخبار أن اسمه «عزرائيل». وعزريل: كجبريل لغة فيه.

واختلف هل الملائكة أفضل من كل البشر حتى الأنبياء أم من صالحى المؤمنين دون الأنبياء، أم صالحو المؤمنين أفضل منهم؟ وترك البحث =

.....

= في هذا أولى لأنه لا يُبنى عليه فرع. وقال شيخ الإسلام قولاً وسطاً
حاصله: أنهم أفضل باعتبار البداية وصالحو البشر باعتبار النهاية. والله
أعلم.

والملائك والملائكة سواء، ومنه قوله: وسخر من جنّ الملائك تسعة...
والحتف: الموت.

فصل في الإيمان بكتب الله

بِكُلِّ مَا أُنْزِلَ مِنْ كِتَابٍ نُؤْمِنُ حَقًّا دُونَ مَا ارْتِيَابُ
وَالذِّكْرُ وَالتَّوْرَةُ مَعَ إِنْجِيلٍ مَعَ الزَّبُورِ وَصُحُفِ الْخَلِيلِ
مُنْزَلَةٌ وَهِيَ كَلَامُ الرَّبِّ حَقِيقَةٌ دُونَ مَجَازِ يُنْبِي^(١)



(١) ونؤمن بكتب الله تعالى كلها وبما جاء فيها: ومما ذكر في القرآن منها التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، وهي منزلة من الله تعالى عليهم وكلها كلام الله تكلم بها حقيقة لا مجازاً.

فصل في الإيمان بالرسول

ثُمَّ الرَّسُولُ: رَجُلٌ قَدْ أَمَرَ
وَهُوَ بِلَا أَمْرٍ نَبِيٍّ، وَالْخِلَافَ
وَاخْتَلَفُوا فِي خَضِرٍ وَمَرْيَمَ
قِيلَ: نَبِيُّونَ، وَقِيلَ: أَوْلِيَا
هَلْ فِي النَّسَا نُبُوَّةٌ خُلِفَ دُرِّي
وَقَوْلُهُ ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ غَيْرُ مَا
وَمُعْجَزَاتُ الْأَنْبِيَاءِ خَارِقَةٌ
نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، مُوسَى، أَحْمَدُ
فِي الذِّكْرِ وَالْأَخْرَابِ ثُمَّ الشُّورَى

وَحَيًّا بِأَنْ يُبَلِّغَ الشَّرْعَ الْوَرَى
فِي حَدِّهِ عَلَى الذِّكْرِ غَيْرُ خَافٍ
لُقْمَانَ، ذِي الْقَرْنَيْنِ، زَوْجَ آدَمَ
وَالْأَكْثَرُونَ صَوَّبُوا مَا وَلِيَا
وَمُنْبِتٌ وَجُودَهَا لَمْ يَفْتَرِ
نَحْنُ بِهِ إِذْ لِلرَّسَالَةِ انْتَمَى
لِعَادَةٍ لَا تَقْبَلُ الْمُشَاقَّةَ
عَيْسَى، أُولُوا الْعَرَمِ الَّذِينَ وَرَدُوا
وَكَانَ ذَاكَ فِيهِمَا مَسْطُورًا^(١)

(١) الرسول: رجل أوحى إليه وأمر بالتبليغ، والجمهور على أن النبي هو كذلك دون أمر بالتبليغ. وعليه: كل رسول نبي ولا عكس، فالنبي أعم، والخلاف في تعريفه لا يخفى على الفطن المطلع، واختلف في الخضر، ومريم، ولقمان، وذو القرنين، وزوج آدم، قيل: أنبياء، وقيل: أولياء، وصوبه الأكثرون، واختلفهم هنا مرده إلى الاختلاف في حد النبي أهو: من أوحى إليه بشيء، أم بشرع؟ وهل يمكن ألا يكون =

= رجلاً؟ لأنهم تنازعوا في النبوة هل تكون في النساء أم لا؟ والجمهور على المنع، ولم أحصل على دليل صريح يمنع من ذلك لا من العقل ولا من النقل، وقد أوحى إلى مريم كما أوحى إلى غيرها من الأنبياء وقال في سورة مريم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ [مريم: ٥٨]، وحاكي الإجماع في عدم الوقوع غلط، وبحثها أبو محمد ابن حزم في «الفصل»، والقرطبي في التفسير وصوباً وقوعها فيهن، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [يوسف: ١٠٩]، فليس من الباب لأن الجميع يمنع أن تكون الرسالة في غير الرجل والبحث هنا في النبوة لا في الرسالة وهو طويل غير مفيد، والله أعلم.

ومعجزات الأنبياء خارقة للعادة لا يقدر البشر على تحذيتها.

ورسل الله نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم كثيراً هم أولو العزم ذكروا مجموعين في آيتين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]. وقوله: ﴿شَرَعْنَا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْنا بِهِ نُوْحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: ١٣].

تفريع

وَحَقُّ الْإِسْرَاءِ لَا فِي النَّوْمِ وَفِي مَنْامٍ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ
 ﴿سُحْنٌ﴾، وَالرُّكُوبُ، وَالذَّهْلُ، وَ﴿مَا زَاغَ﴾ ﴿يَعْبُدُهُ﴾ دَلِيلٌ مَنْ سَمَا
 وَلَمْ يَرَ النَّبِيَّ رَبَّهُ هُنَا مِنْ مِثْلِ هَذَا قَفَّ شَعْرُ أُمَّنَا^(١)

(١) والإسراء بالنبي ﷺ حق والأكثر على أنه ببدنه وروحه يقظة لا منامًا دون إنكار أنه كان قبل ذلك منامًا، وقال آخرون: بل كان ذلك بروحه وتعقبه ابن جرير بما يبطله.

والبيت الذي بعده تضمن مجموع أدلة الجمهور، وهي خمسة، وبيان ذلك:

أن التسبيح تعجب من أمر عظيم وهو كذلك إذا كان يقظة. ثانيًا: جاء في الحديث ركوبه على البراق وهو إنما يكون للبدن. ثالثًا: تعجب الكفار والمبادرة إلى تكذيبه ولو كان منامًا ما كان ذلك. رابعًا: قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧] البصر من آلات الجسد لا الروح. خامسًا: قوله: ﴿يَعْبُدُهُ﴾ [الإسراء: ١] عبارة عن الجسد والروح، ولو كان منامًا لقال: بروحه. وجميع الوجوه الخمسة منتظمة في البيت، وفي آخره بيان أن هذا دليل من رجح قولهم في هذا.

ولم ير النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج لما ثبت في صحيح مسلم =

.....

= إذ سئل هل رأيت ربك؟ فقال: «نورٌ أتى أراه»، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقالت: «لقد قف شعري من ذلك»، وأكذبت من زعم أنه رآه.

فصل في الإيمان باليوم الآخر

وَلَيْسَ يَذَرِي أَحَدٌ مَتَى يَحْيَى
وَمَنْ نَفَى حَيَاةَ الْأَنْبِيَاءِ
وَحَقُّ السُّؤَالِ فِي الْقَبْرِ، وَكَمْ
أَتَى بِهِ الذِّكْرُ إِشَارَةً وَجَا
وَفِتْنَةً الْقَبْرِ: نَعِيمٌ أَوْ عَذَابٌ
وَالْمُرْتَضَى أَنَّ ذَوِي الْأَجْدَافِ
وَاتَّفَقَ الْأَصْحَابُ أَنَّهُ يَصِلُ
إِنْ مَاتَ، وَاسْتِغْفَارُنَا، وَالصَّدَقَةُ
مَنْ بَعَثُنَا وَأَرْبَعَ الْمَفَاتِحِ
وَالشُّهَدَا فِي بَرْزَخٍ قَنَائِي
مُبْتَدِعٍ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَاجْتَرَمَ
فِي الْهَذْيِ سَبْعُونَ حَدِيثًا، فَالْجَا
نُثِبَتْهُ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْمَتَابَ
لَا يَسْمَعُونَ قَائِمًا عَنْ خِلَافٍ
مَا كَانَ ذَا تَسْبِيٍّ فِيهِ الرَّجُلُ
تَرُدُّدٌ فِي الْحَجِّ أَوْ فِي النَّفَقَةِ^(١)

(١) ولا يعلم أحد سوى الله تعالى متى تقوم الساعة، ولا يعلم أحد سواء نزول الغيث، ولا ما في الأرحام، ولا ما يكون غدا، ولا يعلم أحد من خلق الله أين يموت .

ومن نفى حياة الأنبياء والشهداء في القبر فهو ناءٍ معرض عن الحق والأدلة على ذلك واضحة. والسؤال من الملكين حق واقع في القبر تواترت بذلك الأحاديث أبلغها السيوطي إلى سبعين، والصحيح منها دون ذلك بكثير، وجاء في القرآن الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ=

آيَاتُهَا الدَّجَالُ والدُّخَانُ وَدَابَّةٌ، يَأْجُوجُ، وَالنِّيرَانُ
ثَلَاثَةٌ خَسَفَ بِأَرْضِ الْعُرَبِ عَيْسَى وَبَدَأَ الشَّمْسُ صَوْبَ الْغَرْبِ
وَالنَّفَخَاتُ: فَرْعٌ. صَغَقَ قِيَامٌ وَقِيلَ: ثِنْتَانِ، وَفِي الْقَوْلِ كَلَامٌ^(١)

= اللَّهُ الَّذِيكُمَا آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٧٧﴾ [إبراهيم: ٢٧] وما ورد من الأحاديث التي فيها ذكر السؤال، كثير منها فيه ذكر فتنة القبر وعذابه ونعيمه، جاء في الذكر ما يدل على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿الْأَنَارُ يُعْرِضُونَ عَلَيْهَا عُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، وقد أنكر عذاب القبر والسؤال فيه من ضل من المبتدعة كالخوارج والجهمية والمعتزلة والرافضة والمرتضى أنه لا يسمع من في القبور، وهو قول عائشة رضي الله عنها مستدلة بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. وأما ما ورد من نصوص تفيد سماعهم كقصة «القليب» والخبر الذي فيه: أن الميت يسمع قرع النعال ونحو ذلك، هو من باب الخاص بأعيان أو أزمان، ولا تعارض بين مثل هذا وذاك. والله أعلم. وقد اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء فيما تسببوا فيه قبل موتهم كالصدقة الجارية وينتفعون أيضًا بدعاء المسلمين واستغفارهم لهم والصدقة والحج إلا أنهم اختلفوا فيما يصل من ثواب الحج؛ ف قيل: يصل إلى الميت ثواب الحج وهو الصواب، وقيل: ثواب النفقة، والله أعلم.

و«الأجداف»: جمع جدف؛ كالجَدَث وزَنًا ومعنى وجمعا.

(١) جاء في صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: «طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، =

.....
= والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم".

وفي كثير منها أحاديث متواترة، وجاء التصريح ببعضها في الذكر، وبعضها مومى إليه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْدِي رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَبْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلشَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُك بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: ٦١] على أحد التفسيرين. والآية والشرط العلامة. والنفخات؛ قيل: ثنتان، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وهو خطأ، والثالث بعيد، والأول فيه نظر. والله أعلم.

فصل

وَحَقُّ الْجَرَائِ، وَالْحِسَابُ وَالْعَرْضُ، وَالصِّرَاطُ، وَالْكِتَابُ^(١)
كَذَلِكَ الْمِيزَانُ، وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ يَقُولُ: وَاحِدٌ: حَكَاةُ ابْنٍ كَثِيرُ
وَوَلَدُ الْكُفَّارِ هَلْ فِي الْخُلْدِ، أَوْ بِبَرْزَخٍ، أَوْ نَارٍ، الْخُلْفَ حَكَّوْا
وَقِيلَ: بِالْوَقْفِ، وَالْامْتَحَانِ، وَوَلَدُ الْمُسْلِمِ فِي الْجَنَانِ^(٢)

(١) هذه الأمور ثابتة بالسمع والفطرة ولم ينكرها إلا القرامطة وأشباههم، و«الكتاب» هو الذي يأخذه المؤمن بيمينه والكافر بشماله، والأكثرون على أن الميزان واحد، وجمع في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] باعتبار تعدد الموزون حكى ذلك ابن كثير عند هذه الآية في تفسيره.

(٢) لم يختلف العلماء في أن أولاد المؤمنين في الجنة واختلفوا في أولاد الكفار إلى عشرة أقوال، ذكرها ابن حجر في الفتح. والتحقيق أنهم في الجنة للأدلة الصحيحة الصريحة، منها: ما رواه البخاري من حديث سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال: «وأما الولدان الذين حولهم فكل مولود على الفطرة قال: فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ: «وأولاد المشركين». والكلام في الجمع =

وَاخْتَلَفَ الْأَسْلَافُ فِي الشَّهَادَةِ
لِلْأَنْبِيَاءِ، وَقِيلَ: بَلْ لِكُلِّ
وَدَاخِلَ النَّارِ مِنَ الْعُصَاةِ
بَعْدَ امْتِحَاشِ وَأَبَى الْمُتَنَزِّلَةِ
بِجَنَّةٍ فَقِيلَ: لَا إِلَّا النَّبِيُّ
مَنْ نُصِّ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُلِّ
بَخْرُجٍ دَاخِلًا إِلَى الْجَنَّاتِ
خَرُوجَهُمْ مَعَ قَوْلِهِمْ بِالْمَنْزِلَةِ^(١)



= بين الأدلة في هذا المقام ليس مكانه هنا، وإنما أردنا بكتابنا هذا إرشاد
المبتدئ وتذكير العالم.

(١) للسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

الأول: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وهو محكي عن محمد ابن
الحنفية، والأوزاعي.

الثاني: يُشهد بالجنة لكل من جاء فيه النص وهو قول كثير من أهل
الحديث.

الثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون والظاهر صواب
الثاني لأن الشاهد مخبر بوعد الله ورسوله، ووعد الله ورسوله نافذ ولا
يخلف الله وعده.

ومن دخل النار من العصاة فإنه يمكث فيها ما شاء الله ثم يخرج منها
حين يشاء الله تعالى كما دلت على ذلك الأدلة المتضافرة، وفي ذلك
ردٌ على المعتزلة والخوارج الذين يرون أنهم يخلدون كالكافرين
والمنافقين، هذا مع أن المعتزلة لا يسمون مرتكبها كافرًا. وأهل الحق
فارقوا أولئك من جهات ثلاث:

الأولى: أنه يسمّى مسلمًا لا كافرًا كما يقول الخوارج ولا في منزلة بين
المنزلتين، كما يقول المعتزلة.

الثانية: أنه قد يدخل الجنة بفضلِهِ وبرحمته ابتداءً دون أن يُدْخَلَ النار.

الثالثة: أنه لا يخلد في النار إذا دخلها.

تفريع فيه الكلام عن الروح

وَمُسْتَقَرُّ الرُّوحِ فِيهِ خُلِفُ
وَالرُّوحُ وَالنَّفْسُ هُمَا: لَفْظَانِ
وَالأَوَّلُ: اخْتِبَارُ ذِي الْمُحَلَّى،
وَخَلْقُهَا أَسْبَقُ مِنْ أَبْدَانِ
وَقَوْلُهُمْ: تَفَاوَتْ قَدْ يَصْفُو
تَرَادَفًا، وَقِيلَ بَلْ: شَيْئَانِ
وَصَاحِبُ الرُّوحِ بِرُّوحِ أَجَلَى
وَقِيلَ: لَا، وَالْقَوْلُ لِلْحَرَّانِي^(١)

(١) وتعدّد أقوال الناس في مستقر الروح إلى أكثر من عشرة أقوال. ذكرها ابن أبي العز في شرح الطحاوية، والقول الذي يصفو من الشوائب والاعتراض عليه قول من قال بأنها متفاوتة، كل حسب فضله ومنزلته في الجنة.

واختلف في الروح والنفس هل هما شيئان؟ أم شيء واحد؟ والصحيح أنهما مترادفان وجاء في الحديث ذكر كل منهما مكان الآخر وبه استدل ابن حزم واختاره ابن القيم، وأعني بالترادف ما يتعلق بمعناهما إذا أطلق، وإلا فلكل منهما معان أخرى تعرف من التقييد والسياق فإن الروح استعملت في القرآن، له، وللوحي، وعيسى، وجبريل، والرحمة، والنفس استعملت في اللغة العربية للدم، والجسد، والعين، والغيب، وبه فسر قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [المائدة: ١١٦] ويشهد له آخر الآية، ذكر ذلك الزبيدي في شرح القاموس. والظاهر أن هذا المعنى معنى مرادي لا المعنى المباشر وهو مفهوم من «ما» لا من =

وَالنَّاسُ فِي الرُّوحِ عَلَى خِلَافٍ خَارِجِهِ وَلَا تُبَايِنُ الْجَسَدُ ثَمَانِ عَشَرَ وَمِئَةً^(١) وَلْتَنْظُرِ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ آيَ خَمْسٍ وَقَدْ أَحَالَ اللَّهُ عِلْمَهَا إِلَيْهِ

فَقِيلَ: لَا فِي بَدَنٍ وَلَا فِي وَبَلَّغْتَ أَقْوَالَهُمْ إِلَى عَدَدِ «فَتَحَ الْقَدِيرُ» لِابْنِ شَوْكَانَ السَّرِيِّ بَعْدَ ثَمَانِينَ بِغَيْرِ لَبْسٍ فَاَنْعَ بِمَا قَالَ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ^(٢)



= «نفسى». واختلف أيضًا هل هي مخلوقة قبل الأجساد أم لا؟ الأدلة في ذلك متكافئة، واختار شيخ الإسلام أنها بعد خلق الجسد. والله أعلم. و«أجلى»: فعل ماض بمعنى أَوْضَحَ وكشف وجه الصواب.

(١) في بعض طبعات «فتح القدير» ثمانية عشر مائة قول، ولكنني بعد التأمل وجدت في هذا العدد مبالغة بالغة وإحصاء ذلك وبلوغه كالمتعذر، وثبت لي غلط النساخ بعد ذلك، فغيرت في النظم بمقتضى ما ثبت.

(٢) قال الشوكاني في فتح القدير (٣/٢٥٤): «وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر ومائة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاقل عن النفع بعد أن علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه ولم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث عن حقيقته فضلاً عن أمهم المقتدين بهم، فيالله العجب حيث تبلغ أقوال أهل الفضول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه ولم يستأثر بعلمه». و«السري» بتشديد الياء: السيد.

القول في الجنة والنار

مَوْجُودُ النَّارِ كَذَا الْجَنَانُ وَأَنْكَرَ الْوُجُودَ قَوْمٌ بَانُوا
وَزَعَمَ الْجَهْمُ الْفَنَاءَ فِيهِمَا وَخَالَفَ النُّصُوصَ مَنْ تَجَهَّمَا
وَفِي قَنَا النَّارِ: خِلَافٌ عُرِفَا عَنْ بَضْعَةٍ مِنْ سَلَفٍ، وَضَعَفَا
وَشُهِرَتْ عَنْ أَحْمَدَ الْحَرَّانِي وَقَرْنِهِ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
إِثْبَاتُهَا عَنْ شَيْخِهِ، وَأَمَّا هَذَا فَهَمَّ أَوْ فَقَدَ أَلَمَّا^(١)

(١) الجنة والنار موجودتان، قال الله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ورآهما النبي ﷺ في المعراج، وذهب طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أنهما لم يخلقا بعد، ولا يُعلم لهم حجة، ولفظ «النار» مؤنث، وقد يذكر.

وزعم الجهم بن صفوان أن الجنة تفتنى مخالفاً النصوص الصريحة في دوامها. وأما فناء النار فقد عرف نقلاً عن بضعة من الصحابة. ولا يصح من ذلك شيء، وشهرت مقالة فناء النار عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وليس في الإمكان إثبات ذلك عن ابن تيمية لبرهانين جليين:

الأول: أنه لا يوجد حرف واحد في كتبه فيه الإفصاح بفنائها عنده.

الثاني: أنه صرّح في غير موضع من كتبه أنها لا تفتنى، من ذلك ما في الفتاوى (٣٠٧/١٨).

.....
= وإنما طرأ نسبة هذه المسألة إليه لثلاثة أمور:

الأول: تبني تلميذه ابن القيم لهذه المسألة وتحرر الكلام فيها ثم إيراد الأدلة على فنائها مع افتراض أنه يبعد مخالفته لشيخه في مثل هذه المسألة التي قال عنها: إنها أكبر من الدنيا وما فيها.

الثاني: قول ابن القيم في شفاء العليل في آخر الباب الثالث والعشرين: «وكنيت سألت شيخ الإسلام قدس الله روحه فقال لي: هذه المسألة عظيمة كبيرة، قال: ولم يجب فيها بشيء فمضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي بعض تلك الآثار التي ذكرت، فأرسلت إليه الكتاب، وهو في مجلسه الأخير وعلمت على ذلك الموضع، وقلت للرسول: قل له: هذا الموضع يشكل عليه ولا يدري ما هو، فكتب فيها مصنفه المشهور، رحمة الله عليه، فمن كان عنده فضل علم فليجذب به»؛ ثم ذكر كلاماً مقتضاه التوقف. ففهم بعضهم أنه لو كان يقول بأنها لا تفنى لقال ذلك فكان العدول إلى ما ذكره مفهوماً الحيرة في أقل الأحوال المحتملة وهذا بعينه هو الذي يفهم من الرسالة المنسوبة إليه بتحقيق وتعليق الدكتور السمهوري. وهو ما يفهم أيضاً من كلام ابن القيم المتقدم فإنه يفيد بقاء الإشكال عنده، ولو كان في ذلك المصنف ترجيح القول بفنائها وأدلته لكان كافياً لمثل ذلك التلميذ من مثل ذلك الشيخ، ولكان هو فضل ذلك العلم الذي استجوده ليدفع عنه الحيرة والتوقف.

الثالث: كان لخصومه حظ وافر في نسبة ذلك إليه، إما بسبب ما تقدم في الوجهين الأول والثاني أو بسبب محلهم أو هما معاً، فإنه قد يشتهر عن العالم ويحكى عنه قول لم يقل به بل ولا سمعه ولعله لم يخطر بقلبه. هذا أبو محمد ابن حزم يصرح في كتابه «حجة الوداع» و«المحلى» بأن السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط يبتدئ بالصفا وينتهي بالمروة، ولم يكتف بذلك بل رد على من يقول بخلافه بالنقل=

= والحسن ثم يشتهر بين الخاصة فضلاً عن العامة أنه يقول: الطواف بينهما أربعة عشر شوطاً ويعدون هذا من شذوذه، وأغرب من هذا الحكاية التي فيها أنه لم يطلب العلم إلا بعد السادسة والعشرين، وكان ذلك أول دخوله المسجد... في قصة طويلة مشهورة تذكر في المجالس والمحاضرات، نعم ولا يحكيها إلا أهل العلم، منهم من يقولها مادحاً ومنهم من يقولها ذاماً، والقصة باطلة واقعاً وتاريخاً، وأما الإسناد فلا إسناد، وقد تفقه ابن حزم وطلب الحديث على بعض شيوخه الذين ماتوا وهو دون العشرين وكان طلبه قبل ذلك بسنين. وأعجب من هذا وذاك ومن كل عجيبة أنه يستفيض عن ابن تيمية نفسه أنه لم يحج ولم يعذروه في ذلك، فهلاً عذروه إذ لمزوه إعداراً قائماً على حسن ظن بمثل ذلك العالم المجاهد، ولقد رأيت السقاف المعاصر ذكر هذه الفرية في بعض كتبه وحكاها عن أحمد الغماري. قال أبو محمد: كذب السقاف وما صدق الغماري، وصدق ابن تيمية إذ ذكر في حُرّ كلامه في أكثر من كتاب أنه حج إلى مكة ومن ذلك ما في الاقتضاء ص ٤٢٩.

وقد ذكر ابن تيمية عن بعض خصومه أنه كان يقول عنه إنه يقول: إن الله في زاوية وَلَدٌ ولدأ. ذكر ذلك في الفتاوى (٢٥٥/٣). وحكى ابن بطوطة في رحلته (ص ٩٥): أنه رأى ابن تيمية يخطب يوم الجمعة بدمشق فكان من جملة كلامه أنه قال: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر» وذكر قصة مفصلة. وهذه ليست أول كذبة في الرحلة.

والمقصود أنه يجب التروّي عند كل دعوى غريبة والتأمل في كل منقول لا سيما إذا كان الناقل خصماً أو من في حكمه فإن غولبت في التصديق فلا تغلبن في النقل، والمقام لا يتحمل بسطاً أكثر من هذا، فإن الغرض متعلق بسواه. والله المستعان.

وَأَلَّفَ الصَّنْعَانِ وَالشُّوْكَانِي وَابْنُ الْوَزِيرِ الْعَالِمُ الْيَمَانِي
وَالذَّهَبِيَّ وَالشُّبَكِ وَابْنُ تَيْمِيَّةَ وَمَا نَرَى لِبَعْضِهَا مِنْ بَاقِيَةٍ
وَصَنَّفَ الْوَالِدُ فِيهَا الْكُشْفَا وَاخْتَرْتُ بَعْدَ طُولِ بَحْثِي الْوَقْفَا
وَأَكْثَرَ النَّاسُ بِهَذَا الزَّمَنِ كَلَامَهُمْ فِيهَا بِمَا لَمْ يُسَمِّنْ^(١)



(١) وتتابعَت التصانيف بعد ذلك وممن صنف فيها العلامة الصنعاني والشوكاني وقبلهما العلامة محمد بن إبراهيم الوزير والذهبي، وألف فيها السبكي رسالة يرد فيها على ابن تيمية لشهرتها عنه منذ ذلك الحين، وصنّف قبلهم ابن تيمية كتابًا في هذه المسألة كما تقدم، وبعض تلك المصنفات - ككتاب الذهبي - مفقود غير موجود، وصنّف فيها الوالد - متعه الله بالعافية في الدارين - كتابًا سماه «كشف الأستار» انتهى فيه إلى تبرئة الشيخين من القول بفناء النار، تبرئة سلك فيها مسلك الترجيح في ابن القيم واليقين المقطوع به في شيخه، ولم يظهر لي ذلك في «ابن القيم» ولا ظهر لي الصواب فيها بعد بحث ومباحثة في الكتب ومع أهل العلم، والله المستعان، وهو الفتح العليم. وأكثر الناس في هذا العصر كلامهم في هذه المسألة تصنيفًا وجدالًا ومباهلة، ولم أر فيها ما يسمن ويغني إذ لا جِدَّة هناك لا في الدليل ولا في التدليل. والله أعلم.

القول في الشفاعة وأنواعها

ثُمَّ الشَّفَاعَةُ ثَمَانُ تَنْتَظِي شَفَاعَةُ عُظْمَى، وَأُخْرَى فِي فِتْنَةٍ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، ثُمَّ مَنْ أُمِرَ ثُمَّ الَّتِي فِي رِفْعَةِ الْمَنَازِلِ شَفَاعَةُ فِي فِتْنَةٍ أَنْ يَلْجُوا فِي النَّارِ حَتَّى يَخْرُجُوا، وَالسَّابِعَةُ كَذَا شَفَاعَةُ لِأَهْلِ جَنَّتِهِ

وَأَقِيعَةً بِشَرْطِ إِذْنِ وَرَضَا تَكَافَأَتْ خَيْرَاتُهُمْ وَالسَّيِّئَةُ بِهِ إِلَى النَّارِ لِيَتَّقِيَ الضَّرَرَ وَقَدْ أَجَازَ هَذِهِ الْمُعْتَزِلِي بِلَا حِسَابٍ، وَلَقَوْمٌ وَلَجُوا تَأْتِي لِتَخْفِيفِ الْعَذَابِ نَافِعَةٌ كُلُّهُمْ لِيَدْخُلُوا بِرَحْمَتِهِ^(١)

(١) والشفاعة واقعة يوم القيامة بشرط إذن الله ورضاه. وهي ثمان:

الأولى: شفاعة عظمى في أن يأتي الله لفصل القضاء وهي خاصة بالنبي ﷺ.

الثانية: شفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة.

الثالثة: شفاعة في قوم أمر بهم أن يدخلوا النار ليدخلوا الجنة.

الرابعة: شفاعة في قوم دخلوا الجنة أن ترفع منازلهم ودرجاتهم، وهذه الشفاعة أجازها من خلد أصحاب الكبائر كالخوارج والمعتزلة وكذلك الأولى.

الخامسة: شفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

.....

= السادسة: في قوم دخلوا النار من ذوي الكبائر ليدخلوا الجنة.
السابعة: شفاعة خاصة بالنبي ﷺ في عمه أبي طالب ليخفف العذاب عنه .

الثامنة: شفاعة النبي ﷺ في كل من استحق الجنة ليدخلها.
ويخرج الله أقوامًا من النار بغير شفاعة بل بفضلِهِ ورحمته، وينشئ الله أقوامًا يدخلهم الجنة يملأ بهم ما فضل منها.

مسألة

وفي الكبائر اضطرابٌ شهرا والحقُّ أنَّ كلَّ أمرٍ أخبرا
الوحيُّ أنَّه كِبِيرَةٌ وَمَا فِيهِ وَعِيدٌ غَضَبٌ لَعْنٌ دِمَا
وَاللَّمُّ: الهمُّ وفي الصَّغِيرَةِ خُلِفَ لَهُمْ، وَقِيلَ: غَيْرُ نَا وَتَنِي^(١)



(١) وفي تعريف الكبيرة وعدد الكبائر خلاف مشهور، والحقُّ أنَّ كلَّ ما ترتب عليه حد أو جاء فيه وعيد بالنار أو اللعن أو الغضب أو كان مما يتعلق بدماء بني آدم المحرمة فهو كبيرة، وفي الصغيرة خلاف مبني على معرفة الكبيرة، قيل: ما عدا ما ذكرنا، أي: ما ليس عليه توعدهم بالنار... إلخ. وقيل: ما بين اللمم والكبيرة، ومن العلماء من جعل اللمم مرادفًا للصغيرة ومنهم من جعله الهم، والله أعلم.

فصل في الإيمان بالقدر

وَسِرُّ رَبَّنَا تَعَالَى الْقَدَرُ
 إِنَّ السَّعِيدَ بِقَضَاءِ سَعِيدَا
 وَأَرْبَعُ مَرَاتِبُ الْإِيمَانِ
 الْعِلْمُ كَتَبْتُ ثُمَّتَ الْمَشِيئَةُ
 وَذُو اغْتِزَالٍ سَالِبٌ كُلُّ قَدَرٍ
 قَابِلُهُ الْجَبَرِيَّةُ السُّلَّابُ
 أَمَا ذَرَى الْأَغْرَارُ أَنَّ الرَّبَّ
 لِهَذِهِ الْمَقَالَةِ الصَّلَاحُ
 وَقَدْ أَتَوْا مِنْ حَيْثُ لَمْ يُفَرِّقُوا
 إِحْدَاهُمَا دِينِيَّةٌ مَرْضِيَّةٌ
 أَخْرَاهُمَا إِرَادَةُ كَوْنِيَّةٌ

لَمْ يَذَرِهِ مَلَأَيْكَ أَوْ بَشَرُ
 وَذُو الشَّقَا بِمِثْلِهِ قَدْ بَعْدَا
 بِقَدَرٍ: وَهِيَ عَلَى الْإِيقَانِ
 وَبَعْدَهَا الْخَلْقُ هِيَ الرَّابِعَةُ
 وَجَاعِلُ الْأَقْدَارِ زَعْمًا لِلْبَشَرِ
 عَنْ خَلْقِهِ اخْتِيَارَهُمْ فَخَابُوا
 قَدْ نَسَبُوا الظُّلْمَ إِلَيْهِ، تَبَا
 عَوْدًا بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ
 بَيْنَ الْإِرَادَتَيْنِ شَرْعًا فَشَقُّوا
 وَيَأْمُرُ اللَّهُ بِهَا شَرْعِيَّةً
 لِقَدَرٍ وَمَشِيئَةٍ مَنْسُوبَةٌ^(١)

(١) القدر سرّ الله تعالى في خلقه لا يعلمه ملك أو بشر، والسعيد سعيد بقضاء الله وقدره والشقي شقيّ بقضاء الله وقدره.

ومراتب الإيمان بالقدر أربع:

١- العلم. ٢- الكتابة. ٣- المشيئة. ٤- الإيجاد.

فَصَيَّرَ الْجَبَرِيَّةُ الْعِبَادَا مُنْفَعِلِينَ دُونَ فِعْلٍ سَادَا
إِذْ جَعَلُوا صَلَاتَهُ وَحَجَّه كَمَرَضٍ وَمِيتَةٍ فِي الْحُجَّةِ
وَجَعَلُوهُ فَاعِلًا دَوُو الْقَدَرِ دُونَ انْفِعَالٍ، ثُمَّ صَحَبْنَا الْغُرُرَ

= وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن كل شيء بقضاء الله وقدره وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، والمعتزلة خالفوا في ذلك فسلبوا القدر وجعلوا المخلوق قادرًا استقلالاً فزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر ونفذت مشيئته وهؤلاء هم القدرية النفاة، ويقابلهم الجبرية المحتجون بالقدر الذين سلبوا اختيار العبد وجعلوه مجبرًا على فعل المعصية وهؤلاء أعداء الله وأولياء إبليس الذي منهم من يعذره لأنه لم يكن له اختيار، وهم الذين يتهمون الجبار بالظلم لأنه يعاقب عبيده على ذنب كانوا مستيرين فيه لا مخيرين نعوذ بالله من مثل هذا الكلام وأهله.

وقد أتى هؤلاء من سوء فهمهم وعدم تأملهم في كتاب ربهم الذي دل على أن الإرادة نوعان:

١- إرادة كونية قدرية يشاؤها الله تعالى يدخل فيها الكفر والمكروه وضدهما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُغْلِقْ صَدْرَهُ صَقًّا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٢٥] [الأنعام: ١٢٥].

٢- إرادة شرعية دينية يرضاها الله تعالى ويحبها، وبمقتضاها أمر عباده ونهاهم. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والإرادتان مجتمعتان في إيمان المؤمن، وتنفرد الأولى في حق العاصي.

والصلعاء في اللغة: كل خِطَّة مشهورة، والداهية، والأغرار جمع غَرَر: من لا تجربة له.

فَذَصِّرُوهُ فَاعِلًا مُنْفَعِلًا واجْتَزَوْا مِنَ الْمَقَامَيْنِ كِلَا
وَالأَوَّلَانِ نَظْرًا بِعَيْنَيْنِ عَوْرَاءَ لَا تُبْصِرُ كُلَّ ذَيْنِ
وَفِي «الشِّفَاءِ» الشِّفَاءُ لِلْعَلِيلِ دَخَضُهُمَا بِالْعَقْلِ وَالذَّلِيلِ^(١)



(١) هذا الكلام فذلکة لما سبق، وحاصله: أن الجبرية جعلت العبد منفعلاً يجري عليه الحكم بمنزلة الآلة وحركته بمنزلة حركات الأشجار، فصلاته وصومه وحجه بمنزلة مرضه وموته، جعلوا ذلك في الحجة سواء. وأما القدرية النفاة فإنهم جعلوه فاعلاً محضاً غير منفعّل في فعله، أما صحبنا أهل السنة نضر الله وجوههم فإنهم توسطوا في ذلك وجعلوا العبد فاعلاً ومنفعلاً واجتزّوا من المقامين كليهما، والأولان كل منهما نظر بعين عوراء.

هذا فحوى كلام العلامة ابن القيم في كتابه القيم «شفاء العليل» في الباب الثامن عشر.

والغُرَرُ جمع أغرّ: الشريف والأبيض من كل شيء. هكذا في القاموس، وقيل: لا يكون الغُرَرُ جمعاً لأغرّ في الأصوب، وما في النظم جارٍ على غير المشهور، والله أعلم.

مناظرة ظهر فيها الحق في هذا الباب

تَنَازَرَ الْقَاضِي مَعَ الْحَبِيرِ أَبِي
سُبْحَانَ ذِي تَنَزُّهِ عَنْ فَحْشَا
سُبْحَانَ مَنْ لَا وَاقِعَ فِي مُلْكِهِ
سَأَلَ قَاضٍ: هَلْ يُرِيدُ الْكُفْرَا؟
قَالَ: أَرَيْتَ إِنْ قَضَى عَلَيَّ بِهِ
قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: إِنْ يَمْنَعُكَ مَا
وَلِنْ يَكُنْ ذَاكَ لَهُ فَهُوَ يَخْصُصُ
إِسْحَاقَ، قَالَ ذَلِكَمُ وَهُوَ أَبِي
قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ذُو الْجَرِشِيِّ
إِلَّا الَّذِي يَشَاءُ، وَيَعْدُ هَذِهِ
قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: يُعْصِي قَهْرًا؟
أَحْسَنَ أَمْ أَسَاءَ؟ يَا هَذَا انْتَبِهْ
تَمْلِكُهُ فَظْلُمُهُ قَدْ حُنِمَا
مَنْ يَضْطَظِنِي فَأُفْجِمَ الْقَاضِي وَغَضَّ^(١)

(١) هذه مناظرة مشهورة وقعت بين القاضي عبد الجبار الهمداني وكان معتزليًا، دخل على الصاحب بن عباد وكان عنده أبو إسحاق الإسفراييني وهو من محققي الأشاعرة. فقال عبد الجبار: سبحان من تنزه عن الفحشاء، ففطن أبو إسحاق وقال على الفور: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. ففهم القاضي أن أبا إسحاق عرف مراده، فسأله القاضي أريد ربنا أن يُعصى؟ فقال أبو إسحاق: أيعصى ربنا قهْرًا؟ قال القاضي: أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَنِي الْهُدَى وَقَضَى عَلَيَّ بِالرَّدَى أَحْسَنَ أَمْ أَسَاءَ؟ فقال له أبو إسحاق: إِنْ كَانَ مَنَعَكَ مَا هُوَ لَكَ فَقَدْ أَسَاءَ وَإِنْ كَانَ مَنَعَكَ مَا هُوَ لَهُ فَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، فأنصرف من كان في المجلس =

.....

= ممن حضر قائلين: والله ليس بعد هذا الجواب جواب، وقام المعتزلي محجوجًا إذ لم يستطع الكلام بعد جواب أبي إسحاق.

و«أبي» في عجز البيت الأول من الإباء. و«الجرشي» بكسر الجيم والراء وتشديد الشين مفتوحة: النفس، والمقصود: ذو النفس الأبية أيضًا. و«أريت» بحذف الهمزة بعد الراء لغة قرأ بها في الذكر الكسائي من السبعة، و«غص» بضم الغين: شرق بريقه.

مسألة

وَالرِّزْقُ فِي الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ وَبِالْحَلَالِ خَصَّ ذُو اغْتِرَالٍ
قِيلَ: أَحَالِقَانِ بَرَزُقَانِ أَمْ خَالِقٌ، عَلَيْكَ بِالْبَيَانِ^(١)



(١) الرزق: هو ما ينتفع المرتزق بحصوله سواء كان المنتفع به حراماً كالربا والخمر أو حلالاً، وخالفت المعتزلة في ذلك فقالوا: الحرام ليس برزق وفسروه تارة بما لا يمنع من الانتفاع به، وذلك لا يكون إلا حلالاً وفسروه تارة بمملوك يأكله المالك، ويلزمهم على هذا التفسير أن ما تأكله الدواب ليس برزق وهو مصادم لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ويلزمهم على التفسير الأول بل على كلا التفسيرين أن من أكل الحرام - طول عمره - لم يرزقه الله تعالى أصلاً، ويلزمهم أيضاً أن يكون لذلك المنتفع به خالق آخر، وهذا ما لا يقولونه ولا يقول به أحد.

القول في الصحابة وبيان فضاهم رضوان الله عليهم

وَمِنْ أَصُولِ صَحْبِنَا الْإِمْسَاكَ عَنْ
وَبَعْضُهُمْ يَفْضَلُ بَعْضًا فَلَا غَرْ
وَبَعْدَهُ عُمَانُ أَوْ قَبْلُ عَلِي
فِي «فَصْلِ» فَضَّلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ
وَضَلَّلَ الطَّاعِنَ فِي خِلَافَةِ
وَمَا رَوَّاهُ مِنْ مَسَاوٍ: كَذِبُ
صَحْبِ النَّبِيِّ فِي الَّذِي جَرَى وَعَنْ
صِدِّيقُهُمْ أَفْضَلُ وَالثَّانِي عُمَرُ
قَوْلَانِ وَالْوَقْفُ لِبَعْضِ يَنْجَلِي
عَلَى الْجَلِيلَيْنِ، وَقُلْ: لَمْ يُصَبِّ
أَحَدُهُمْ وَأَنْسَبُهُ لِلْجَهَالَةِ^(١)
أَكْثَرُهُ، وَبَعْضُهُ مُنْقَلَبُ

(١) من أصول أهل السنة والجماعة الإمساك عما شجر بين الصحابة وعرض
لهم من اختلاف ونشر فضائلهم.

وبعضهم أفضل من بعض، فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وقيل:
علي، وقيل: بالوقف فيهما، ويرى في كتاب «الفصل» أبو محمد بن
حزم فَضَّلَ أزواج النبي ﷺ على جميع الصحابة ولم يُصَبِّ - رحمه الله -
وكل من طعن في خلافة أحدهم كالخوارج والرافضة فهو ضال.
و«عن» في آخر البيت الأول فعل ماض معناه: عَرَضَ. والأعْرَ في
اللغة: الأبيض والشريف.

عَنْ وَجْهِهِ، أَوْ كَانَ فِيهِ زَيْدٌ أَوْ
وَلَيْسَ مَعْصُومًا مِنَ الصَّغَائِرِ
إِنْ أَنْفَقَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ نَحْوَ مِائَةٍ
زَلَّاتُهُمْ مَغْمُورَةٌ فِي جَنْبِ
مَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ بِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ
نَقُصَّ، فَتَنْشِ الْأَذَى فِيهِمْ رَوَوْا
كُلُّهُمْ نَعَمْ، وَلَا الْكَبَائِرِ
خَيْرٌ مِنَ الْمُنْفِقِ تَبْرًا كَأَحَدٍ
فَضَائِلِ الْأَقْوَامِ إِيَّيْ وَرَبِّي
وَصَحْبِهِ فَهُوَ بَرًا مِنْ رَبِّ^(١)



(١) والآثار المروية في مساوئهم أكثرها كذب، ومنها ما غير عن وجهه، ومنها ما كان فيه زيادة أو نقص، وما صح هم معذرون فيه أخطأوا أم أصابوا لأنهم مجتهدون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أنهم معصومون من الصغائر بل ولا الكبائر في الجملة، وقد ثبت عن النبي ﷺ في فضلهم أن من بعدهم لو أنفق مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه.

ثم إن زلاتهم النزرة ليست بشيء إذا قوبلت بفضائلهم ومحاسنهم فهي مغمورة في صحبتهم لرسول الله ﷺ والجهد في سبيل الله والنصرة والهجرة والأعمال الصالحة.

والبراءة من ريبة الطعن في الدين والدس في جنبه هي في حسن القول بأزواج النبي ﷺ وجميع صحبه الكرام لأن تفاصيل الشريعة منقولة عنهم وهم عدول بشهادة القرآن فمن طعن فيهم فقد طعن في الكتاب والسنة وماذا بقي بعد هذا.

تفريع

وَكُلَّ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ نُحِبُّ وَظَالِمٌ خُصَّ فَلَا يُسَبُّ
وَالنَّاسُ شَتَّى فِي يَزِيدَ الثَّانِي فَمِنْهُمْ: الشَّائِمُ بِاللِّسَانِ
وَمِنْهُمْ مُحِبُّهُ، ثُمَّ الْأَحَبُّ أَنْ لَا تُسَبَّ يَا أَخِي وَلَا تُحِبَّ
وَلَيْسَ مِنْ صَحَابَةٍ، وَالْأَوَّلُ أَيُّ: عَمَّهُ، مِنَ الصَّحَابِ بَظُلٍّ^(١)

(١) وأتباع النبي ﷺ وصحبه رضي الله عنهم جميعهم نحبهم ولا نحمل لهم في قلوبنا غلاً ولا حسيكة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ومن ظلم منهم لا نخصه بطعن أو لعن، وفي الصحيح مرفوعاً: «لعن المؤمن كقتله».

والناس مختلفون في أمر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فمنهم اللاعن، ومنهم المحب، ومنهم من لا يسب ولا يحب، وهو الأولى والأحب، وليس السب نوعاً من الذكر يؤجر عليه المسلم، وأما ترك محبته فلا أنه لم يصدر عنه ما يوجب ذلك فضلاً عن ظلمه وسيرته وأعماله التي توجب عدم ذلك.

و«يزيد» هذا ليس من الصحابة، فإن قوماً خلطوا بينه وبين عمه يزيد بن =

وَلَا تُكْفِرُ مُسْلِمًا بِذَنْبٍ وَلَوْ عَلَا، وَاتَّبَعَ سَبِيلَ الصَّحْبِ
وَلْتَمْنَعِ التَّفْسِيقَ بِالتَّأْوِيلِ دُونَ هَوَى يُذْرِكُ مِنْ تَقْوُلٍ^(١)

= أبي سفيان بن صخر الذي كان يقال له: يزيد الخير. قال ابن حجر في «الإصابة»: «كان من فضلاء الصحابة، من مسلمة الفتح».

(١) اعلم أن تكفير المشكوك في إسلامهم فضلاً عن المقطوع بإيمانهم نوع من التوئب الذي لا يقيد زمام ولا خطام، ومن جنس الجرأة المذمومة التي لا يضبطها برهان ولا يعقلها عقل. والإسلام بين من صاحبه والكفر بين من صاحبه، وقد يطرأ على كل ما يشبه عمل الآخر والأصل أن يرد كل إلى أصله في الحكم عليه عند الاشتباه، ولا يحكم على المسلم بالكفر والردة إلا إذا ثبت الدليل البين في أن مرتكب ذلك كافر، غير متأول، أقيمت عليه الحجة، وتبينت له فليج وأعرض عنها، والعقل من سلك سبيل السلامة وهو سبيل السلف الطيب أصحاب النبي ﷺ وأتباعه بإحسان، فإنهم لم يتفوهوا بإطلاق الكفر على الخوارج الذين كانوا يكفرونهم ويستحلون أبشارهم وأموالهم وورد فيهم من نصوص الوعيد الصحيحة ما ورد بل وصفهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأنهم إخوة (أي: في الدين)، فقال: إخواننا بغوا علينا، وقال: من الكفر فروا. فاللازم للمسلم أن يزوم لسانه ويعلم أنه لم يتعبد بتكفير من ظاهر حاله الإسلام ولا بالحكم عليه بأنه من أهل النار وأتى له ذلك ومن أين له أنه مات على اعتقاد ما كفره به إن كان صادقاً في الحكم عليه ابتداءً، لا سيما أن التوبة تحصل بمجرد انعقادها في القلب ولو لم يعلمها أحد من خلق الله تعالى، ومن ضيق على نفسه السبل وأهدى إلى غيره حسناته وتحمل وزر كل تابع له إلى يوم القيامة فقد ارتكب مطية الجرأة العزلى من كل أسلحة العلم والبصيرة والحيطة، وقد مضى في الكلام عن البدعة وأقسامها مما يتعلق بالتكفير والتفسيق بعض ما ذكر. والله المستعان.

مسألة

وَصَلَّ خَلْفَ كُلِّ فَاجِرٍ وَبَرٍّ كَمَا رَوَوْا عَنِ التَّقِيِّ ابْنِ عُمَرَ
مِنْ ائْتِمَامِهِ وَرَأَى الْحَجَّاجَ وَصَلَّ إِنَّ مَاتُوا عَلَيْهِمْ رَاجِي^(١)



(١) وصل خلف كل بر وفاجر تحاشياً للفرقة كما رووا عن التقي الجليل
عبدالله بن عمر من صلاته خلف الحجاج بن يوسف، وإن ماتوا صلّ
عليهم وأنت راجٍ لهم المغفرة وحسن العقبى. و«راجي»: خبر مبتدأ
محذوف.

**القول في الأئمة والولاة وطاعتهم والدعاء لهم
وعدم الخروج عليهم والبراءة من أهل البدع**

وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَنْ أئِمَّةٍ
وَلَوْ يَجُورُونَ وَنَدْعُو بِالرَّشَادِ
إِنَّ الدُّعَاءَ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ
وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ
ذَوِي تَبَرٍّ مِنْ كَلَامِ الْمُرْجِئَةِ
زَائِغَةٍ وَقَالَةِ الْخَوَارِجِ
وَلَتَنْظَرُحُوا الْفُرْقَةَ أَوْ خُلْفًا أَبِي
وَسَمِعْنَا حَقَّ لَهُمْ فِي الطَّاعَةِ
لَأَنَّ فِي صَلَاحِهِمْ نَفْعَ الْعِبَادِ
بِالْخَيْرِ وَالرَّشَادِ بَغْضِ الْبِرِّ^(١)
إِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ
وَقَوْمِ كَرَامٍ وَمِنْ كُلِّ فِئَةٍ
وَكُلُّ رَافِضٍ مَضَى أَوْ سَيَجِي
أَرْضَ الْفَلَا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ الْأَبِ^(٢)

(١) ولا نرى الخروج عن الأئمة وولاة الأمر ولو حصل منهم جور ولا نرى الدعاء عليهم وطاعتنا لهم حق واجب ما لم يأمرُوا بمَعْصِيَةٍ، ولا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، والدُّعَاءُ لَهُمْ بِالْخَيْرِ وَالرَّشَادِ وَالصَّلَاحِ مِنَ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ لَأَنَّ فِي صَلَاحِهِمْ صَلَاحَ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ.

(٢) وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ مَجْتَنِبِينَ الشَّدُوذَ مَتَبَرِّئِينَ مِنْ كَلَامِ الْمُرْجِئَةِ وَالْكَرَامِيَةِ وَكُلِّ فِرْقَةٍ زَائِغَةٍ وَمِنْ أَقْوَالِ الْخَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ، مَعَ أَطْرَاحِ الْفِرْقَةِ وَالْخِلَافِ الْمَرْفُوضِ أَرْضًا، وَالْخِلَافِ الْمَرْفُوضِ: الَّذِي لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا قَصْدُ الْمَخَالَفَةِ أَوْ كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ فِيهِ أَقْلًا.

.....

= و«يُخل لكم وجه الأب» جواب الأمر وهو كناية قصد بها التلويح عن حصول خالص المحبة المطلقة من كلّ، و«من ائتمامه» بكسر النون ويجوز الفتح.

و«ذوي»: حال من فاعل «نتبع»، و«قالة» مصدر قال يقول، و«أبي»: فعل ماضٍ مغيّر الصيغة.

القول في الفرقة الناجية

وَالْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ الَّتِي عَلَى
و«كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»
لِبَعْضِنَا، وَهِيَ لَدَى الْجَمَاهِرِ
لَمْ يُثَبِّتِ الْحَدِيثَ كُلَّهُ كَمَا
ثُبُوتَهُ فِيهَا وَكَانَ الْمُقْبَلِي
نَهَجَ النَّبِيِّ وَالصَّحَابَةِ الْمَلَائِكَةِ
زِيَادَةُ ضَعِيفَةٍ مُجَرَّدَةٌ
صَحِيحَةٌ، وَنَجَلُ حَزْمِ الظَّاهِرِيِّ
فِي «فَصْلِ»، وَذُو السَّلَاسِلِ حَمَى
وَجَّهَ مَعْنَاهُ بِتَوْجِيهِهِ عَلَيَّ^(١)



(١) والفرقة الناجية هي من كانت على ما كان عليه النبي ﷺ وصحبه، وزيادة: «كلها في النار إلا واحدة» زيادة ضعيفة مجردة من الصحة عند جماعة، حكى ذلك الشوكاني وضعفها صاحب «الروض الباسم» وهي لدى الجمهور صحيحة، وضعف الحديث كله أبو محمد بن حزم في كتابه «الفصل»، وصحح تلك الزيادة الألباني في السلسلة الصحيحة، ووجه المقبلي معناه بتوجيه حسن نقله عنه في السلسلة.

خاتمة

إِعْلَمْ هَذَاكَ اللَّهُ أَنَّ الْعِصْمَةَ
وَلَا تُجَاوِزُ قَدْرَ مَا حُدَّ لَكَ
لِكُلِّ مُنْكَرٍ وَعُرِفِ الْعُرْفِ
وَسَكَنَ الْفُؤَادُ وَالْمَعْرِفَةُ
فَلَا تَخَفْ إِنْ كُنْتَ قَدْ وَصَفْتَهُ
وَدُونَ ذَلِكَ فَاصْصُمْتَنَ، وَلَا تُذِقْ
مَنْ رَامَ مَا يُحْظَرُ عَنْهُ عِلْمُهُ
عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ وَالْمَعْرِفَةِ

أَنْ تَظْرَحَ الْهَوَىٰ اطِّرَاحًا ثُمَّ
إِنَّ قَوَامَ الدِّينِ فِي إِنْكَارِكَ
فَكُلُّ مَا فِي الْوَحْيِ جَاءَ يَكْفِي
وَوَرِثْتَ يَقِينَهُ الْأَيْمَةَ
بِوَصْفِهِ لِنَفْسِهِ أَلْبَنَّهُ
نَفْسَكَ هَمَّ تَكْلِيفٍ يَشُقُّ
وَلَمْ يَكُفَّ كَفَّهُ مَرَامُهُ
وَعَادَ تَائِهًا عَلَىٰ وَسْوَسةٍ^(١)

(١) اعلم - هداك الله - أن العصمة في الدين: أن تعرف قدر نفسك ولا تجاوز مقدار ما حُدَّ لك، فإن من قوام الدين إنكارك لكل منكر، ومعرفة المعروف، فما كان أصله في الكتاب والسنة، وسكنت إليه الأفئدة، وتوارثت علمه الأمة، فلا تخافن إن كنت قد وصفت ربك بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وما لم يكن كذلك فاصمت عنه كما صمت عنه الرب تعالى، ولا تكلف نفسك وعقلك بما لم تكلف به ولا تدركه، وما سكت عنه الوحي محظور عنك علمه، وإن رُمت وطلبت ذلك حجبك=

وَهُنَا يَتِمُّ نَظْمُ الْمُعْتَمَدِ وَبَعْدَهُ نَظْمُ الْمَذَاهِبِ اتَّقَدِ
رَبِّ أَعِنِ حَافِظَهُ وَكُنْ لَهُ مُسَدِّدًا إِذَا حَوَاهُ كُلُّهُ



= ذلك الفعل عن خالص التوحيد والمعرفة وعدت تائها موسوسا.

وقوام الدين بكسر القاف: قيامه، و«ألبته»: بهمزة قطع وهو في بعض نسخ القاموس بهمزة وصل والمعتمد منها ما فيه القطع، والوجهان جائزان.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفرق والمذاهب المعاصرة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الإباضية والخوارج

نَاشِئَةً، وَنَظَّمُهَا سَوْفَ يَجِي
وَابْنُ حَبِيبٍ الرَّبِيعُ الْآخِرُ
لَدَيْهِمْ يَا صَاحِبِي الذَّاتُ
وَلَا يَرُونَ رُؤْيَا فِي الْآخِرَةِ
وَحَلَدُوهُ بَعْدُ فِي «النَّارِ الَّتِي...»
نَجَلُ حَبِيبٍ بَعْضُ ذَاكَ مُسْنَدًا
إِبَاضِ الْمُقَاعِسي الدَّلَاةِ^(١)

هُمْ فِرْقَةٌ مِنْ فِتَّةِ الْخَوَارِجِ
مِنْ صَحْبِهِمْ سَلِيلُ زَيْدِ جَابِرٍ
قَالُوا بَخْلَقِ «الذَّكْرَ»، وَالصُّفَاتُ
أَقْوَالُهُمْ حَوْلَ الْمَجَازِ دَائِرَةٌ
وَكَفَرُوا مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ
وَسَوَّغُوا تَقْيَّةً، وَأُورَدَا
وَانْتَسَبَ الْقَوْمُ لِعَبْدِ اللَّهِ



(١) كثير الحيرة.

الخوارج

قِيلَ لَهُمْ: نَوَاصِبٌ، شُرَاةُ
 إِذْ خَلَعُوا أَمَرَ الْإِمَامِ الْحَبْدَرِيِّ
 فَمِنْهُمْ دَوُّوَا ابْنَ وَهْبِ الرَّاسِبِيِّ
 وَالنَّجْدَاتُ نَجْدَةُ بَنُ عَامِرٍ
 وَأَهْلُ نَجَلٍ عَجْرَدَ الْعَجَارِدَةِ
 وَالْحُكْمُ بِالْكَفْرِ عَلَى الْمُخَالِفِ
 كُلِّ فِعَالٍ، وَدَوُّوَا الْكَبَائِرِ
 وَمِنْهُمْ أَضْحَابُ ذِي إِبَاضٍ
 وَفِيهِمُ الْيَوْمَ فِتْنَامُ تَبْرَأُ
 مَارِقَةٌ، حُكْمِيَّةٌ، بُغَاةُ
 وَافْتَرَقُوا لِعَشْرِ مَعَ عَشْرِ
 وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ الْمُحَارِبِيُّ
 ثُمَّ دَوُّوَا زِيَادَ بْنَ الْأَصْفَرِ
 وَمِنْهُمْ وَاقِفَةٌ عَلَى حَدِّهِ
 مَعَ الْخُرُوجِ عَنْ إِمَامِ الْحَقِّ فِي
 فِي النَّارِ قَوْلُ جَمْعِهِمْ فِي سَائِرِ
 وَقَدْ جَرَى قَوْلُهُمْ فِي الْمَاضِي
 مِنَ الْخَوَارِجِ، وَهَذَا نَبَأُ



أهل الاعتزال

لِوَأَصِلِ نَجَلِ عَطَا الْغَزَالِ
وَالْحَسَنُ الْبَضْرِيُّ قَالَ: اعْتَزَلَا
عَنْ ذِي الْكَبِيرَةِ فَقَالَ وَاصِلُ
وَمِنْهُمْ «النَّظَامُ» مَعَ «عَلَّافٍ»
كَذَلِكَ «الْبَلْخِيُّ» وَ«الْجُبَّائِيُّ»
الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَعَدْلٌ، مَنْزِلَةٌ
وَجَحَدُوا الرُّؤْيَا بِالْأَبْصَارِ
وَ«أَرْفِيَّةٌ» «نَاطِرَةٌ» (وَحَجْبُهُ
وَجَمَلَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ حُجَّتِي
وَالنَّفْيُ لِلْإِدْرَاكِ لَا لِلرُّؤْيَا
دُنْيَا الْغُرُورِ، أَوْ عُيُونُ الْكُفْرَةِ
فِي هَذِهِ^(١)، وَالنَّفْيُ لِلتَّائِبِ

مَا لَ - تَعَصَّبَا - ذُوُوا اغْتِرَالِ
مَجْلِسَنَا وَاصِلُ حِينَ سُئِلَا
لَسْتُ أَقُولُ: كَافِرٌ أَوْ فَاضِلُ
وَ«ابْنُ عُبَيْدٍ» «بَحْرٍ» «الْإِسْكَافِيُّ»
وَوُلْدُهُ «عَبْدُ السَّلَامِ» النَّائِي
وَالْوَعْدُ، وَالتَّوْحِيدُ، كُلُّ أَصْلَةٍ
وَزَعَمُوا خُلِقَ كِتَابُ الْبَارِي
لِكَافِرٍ، كَذَا ﴿تَجَلَّى رَبُّهُ﴾
فِي رُؤْيَا اللَّهِ بِدَارِ الْمِنَّةِ
فِي آيَةِ «الْأَنْعَامِ»، أَوْ فِي دَارَةِ
﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ قَالَ فِيهِ الْخَيْرَةُ
زَعَمُ «أَبِي قَاسِمِهِمْ مَحْمُودُ»^(٢)

(١) أي: في الدنيا.

(٢) الزمخشري.

وَقُولُ طه: «سَتَرُونَ رَبَّكُمْ»
 يُشَبِّهِ الْمَرِيَّ بِالْمَرِيَّ
 وَعَظَّلُوا أَسْمَاءَهُ وَخَلَّلُوا
 وَبَعْضُ مَا يَفْتَقِدُونَهُ سَبَقُ
 وَمُرْجِيٌّ كَالْأَشْعَرِيِّ، كَرَامِ
 ضِمْنَا مَضُوا، وَحِزْبُ ذِي صَفْوَانِ
 يُشَبِّهُ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ لَمْ
 فَيَا لَهُ مِنْ كَلِمٍ قَوِيٍّ
 فِي النَّارِ ذَا كَبِيرَةٍ وَأَبْدُوا
 بَيَانُهُ وَبَعْضُ ذَلِكَ فِي الْفِرَقِ
 (بِالْفَتْحِ وَالشَّدِّ وَكَالْنِّظَامِ)
 وَنَحْوُهُ وَالْحَمْدُ لِلْمَنَّانِ



أهل التشيع

عَلِيًّا النَّحْرَبَرِ فَهُوَ شِيعِي
بِهِ مِنْ أَحْمَدَ النَّبِيِّ الْمُوصِي
وَمِنْهُمْ الْفُسَّاقُ وَالْأَشْرَارُ
وَهَؤُلَاءِ أَوْلَى بِالْإِسْمِ الْعَالِي
فَالرَّفْضُ فِيهِ آيَةٌ لَمْ تَبْرَحْ
فَكُنْ عَلَى حِذْقٍ وَذَا رَوِيَّةُ
وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ وَالْأَتْبَاعِ

كُلُّ مُفْضَلٍ عَلَى الْجَمِيعِ
وَقَالَ عَنْهُ: إِنَّهُ مَنْ أُوصِيَ
وَاحْتَلَفُوا: فَمِنْهُمْ الْفُجَّارُ
وَمِنْهُمْ مَنْ مَالَ لِاعْتِدَالِ
وَكُلُّ ذِي تَشِيعٍ مُضْطَلَحٍ
وَالْقَوْمُ فِي خِطَابِهِمْ تَقِيَّةُ
وَكُلُّنَا مِنْ شِيعَةِ الْمُطَاعِ



أهل التصوف

مَنْسُوبَةٌ لِلصُّوفِ لَا لِلصُّفَّةِ
وَمِنْهُمْ النُّسَّاكُ وَالْعُبَّادُ
جُنَيْدُهُمْ وَبِشْرُ وَابْنُ أَذْهَمٍ
ثُمَّ ادَّعَى الْكُشَفَ فَنَامَ وَادَّعَى
وَكُلُّ وَالِهِ بَلِيلِي يَذْكُرُ
وَوَحْدَةَ الْوُجُودِ بَعْضُ اغْتَفَظَ
أَشْبَاهُ مُحْيِي الدِّينِ نَجَلِ عَرَبِي
وَمِنْهُمْ أَهْلُ اتِّحَادٍ وَحُلُولٍ
اخْتِزَلَتْ مِنْ مَذْهَبِ النَّصَّارَى
وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا مَاتُوا عَلَيْهِ
وَفِيهِمْ طَرَائِقُ تَفَرَّقَتْ
وَالْأَحْمَدِيَّةُ انْتَهَتْ لِلْبَدَوِيِّ

وَلَا الصِّفَاءِ فَالْقَبَاسُ غَيْرُ رَبِّي
كَالْعَدَوِيَّةِ كَذَا الزُّهَّادُ
وَنَحْوُهُمْ مِمَّنْ إِلَى عِلْمِ نُبِي
مَعْرِفَةِ طَائِفَةٍ ذَاتُ ادِّعَا
وَضَلَا وَلَيْلَى لَا تَرَا لُ تَنْكِرُ
قَالَ: الْوُجُودُ كُلُّهُ اللَّهُ الْأَحَدُ
وَمِثْلُ نَجَلِ الْفَارِضِ الْمُعْتَلَبِ^(١)
وَهَذِهِ عَقِيدَةُ ذَاتُ فُلُولٍ
وَوَلَدُ الْحَلَّاجِ فِيهَا سَارَا
مِنْ بَعْدِ مَا سَارُوا وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ
فَلِلرَّفَاعِيِّ فِتْنَةٌ قَدْ انْتَمَتْ
فِي مِصْرَ، عَامَ (خَلْدٍ)^(٢) مَاتَ الدَّوِيُّ^(٣)

(١) الشيخ المسن.

(٢) أي: عام (٦٣٤هـ).

(٣) المريض.

هَذَا، وَقَوْمٌ لِلدُّسُوقِي إِبْرَهُمْ
انْتَسَبُوا لِلشَّاذِلِي أَبِي الْحَسَنِ
انْتَسَبُوا، وَالشَّاذِلِيَّةُ الْأُمَمُ
وَانْتَشَرَتْ فِي مَغْرِبٍ وَفِي الْبَمَنِ
مَنْسُوبَةٌ، وَكَرَّخَتْ فِي الْهِنْدِ
وَنَحْوَهَا النَّبِيُّ لِنَفْسَبَنْدِ



الاثنا عشرية

انْتَسَبَ الْقَوْمُ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ
 مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ نَجَلٍ عَلِيٍّ
 سَلِيلِ مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ جَعْفَرٍ
 نَجَلٍ عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ مُؤَلِّدِ الْحَسَنِ
 وَسِنْخُ^(١) هَؤُلَاءِ صُنُو^(٢) سَبَا
 وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَهُوَ الْكَائِدُ
 وَقَالَ بِالرَّجْمَةِ وَالنِّدَاءِ
 لِرُزْعِمِهِ، وَرَزَعُمُوا أَنَّ الْكِتَابَ
 وَانْتَظَرُوا انْبِعَاثَ نَجَلِ الْحَسَنِ
 سِرْدَابُهُ وَسَطٌ «سَمْرًا» الْآنَا
 وَكَفَّرُوا صَحْبَ النَّبِيِّ وَغَلَّوْا
 وَأَكْذَبُ الطَّوَائِفِ الرَّوَافِضُ

أَسْمَاؤُهُمْ تُمَلَّى بِهَذَا الشُّعْرِ
 نَجَلِ مُحَمَّدٍ الْجَوَادِ بْنِ عَلِيٍّ
 وَلَدِ مُحَمَّدٍ السَّرِيِّ الْبَاقِرِ
 فَتَى عَلِيٍّ، نَمَّ نَظْمُهُمْ حَسَنُ
 وَهُوَ بِهَوْدِيٍّ أَتَى لِلْمَلَا
 لِأَهْلِهِ الْعَمَرَدُ^(٣) الْمُعَانِدُ
 وَغَيْرَهَا، وَانْقَادَ هَؤُلَاءِ
 مُحَرَّفٌ، وَصَنَّفُوا «فَضْلَ الْخَطَابِ»
 الْعَسْكَرِيِّ فِي خِتَامِ الزَّمَنِ
 فَتَلَّثُوا الْعَنْقَاءَ وَالْغِيْلَانَا
 فِي عِصْمَةِ الْأَيْمَةِ الْأَلَى خَلَّوْا
 وَمَنْ نَحَى كَقَرْمُطٍ، وَمَنْ رَضَوْا

(١) أصل.

(٢) ابن.

(٣) الخبيث الداهية، كما في القاموس.

كَمِثْلِ مَا فِي «الْجَفْرِ» ، وَ«الْبِطَاقَةِ» وَ«جَدْوَلٍ» ، وَ«الْهَفْتِ» ، وَ«الرَّسَالَةِ»



البابية والبهائية

بَابِيَّةً وَأَنَّهُ الْبَابُ الْعَلِيِّ
مِنْ زَوْجِهَا فَرَّتْ رَجَاءُ الْخُلَّةِ
وَالْإِنْجِلِيزِ وَالْأَفَاعِي السُّودِ
وَمَنَعُوا قِرَاءَةَ فِي السَّنَةِ
فَأُضْحِكُوا الثُّكْلَى، وَمِنْ تَزْوِيرِهِمْ
مَكَانَهَا سَبَّارَةً تَفْرِئُ الْفَلَاحَ
جَرَائِدُ وَصُحُفٌ مُنْتَشِرَةٌ
فِي قَوْلِهِ تَنَاقُضًا وَمَا دَرَى

فِي عَامِ (غُرُسٍ) ^(١) أَغْلَنَ الْمِرْزَا عَلِيٌّ
ثُمَّ الْبَهَا فَقَرَّهُ الْعَيْنِ النَّبِيُّ
وَهُمْ فُرُوحُ الرُّؤُوسِ وَالْيَهُودِ
وَلَمْ يَصُومُوا فَوْقَ (طَبِي) ^(٢) فِي السَّنَةِ
وَحَرَّفُوا الْقُرْآنَ فِي تَفْسِيرِهِمْ
﴿إِذَا أَلْمَسْتُ عَطَلْتُ﴾ أَي: أَبَدَلَا
ثُمَّتَ قَالُوا: (الصُّحُفُ الْمُنْتَشِرَةُ)
وَلِإِنْ لَقِيتَ مِنْهُمْ قَدْماً تَرَى



(١) أي: ١٢٦٠ هـ.

(٢) أي: تسعة عشر يوماً.

البوذية

رَعِيْمُهُمْ «بُوذَا» أَي : الدَّاهِي الْفَتِي
خُشُونَةً وَلِصَفَاءِ الْقَلْبِ
بِأَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ ثُمَّ ضَاعُوا
لَأَنَّهُ ابْنُ الرَّبِّ ذِي الْإِنْعَامِ
وَتَرَكُوا الطَّعَامَ بَعْدَ الظُّهْرِ
نَزُولَهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَدَعَوْا
وَكُورِيَا، النَّيْبَالِ، بُورَمَا، السَّنْدِ

مِنْ قَبْلِ عَيْسَى بِقُرُونٍ خَمْسَةِ
دَعَا إِلَى تَصَوُّفٍ وَحُبِّ
وَبَعْدَ مَوْتِهِ ادَّعَى الْأَتْبَاعُ
وَعَبَدُوهُ مَرَّةً فِي الْعَامِ
وَحَرَّقُوا مَبْنَاهُمْ لِلظُّهْرِ
وَقَدَّسُوا كُتُبَهُمْ وَمَا ادَّعَوْا
مُنْقَسِمِينَ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ



التَّجَانِيَّة

فِي عَامِ أَلْفٍ وَمِئَةٍ وَسِتَّةٍ
بِقُوَّةٍ، وَبَعْدَهُ الْفَاسِيُّ فِي
وَابْتَدَعُوا لَهُمْ صَلَاةَ الْفَاتِحِ
بِسِتِّ مَرَّاتٍ مِنَ الْأَلْفِ
وَيَدْعِي قُطْبُهُمْ لُقْبَا النَّبِيِّ
وَمَا افْتَرَاهُ مِنْ هَرَا خَيْرًا يَرَى
وغيره من اعتقاد كُفْرِي

تَسْمِعِينَ أَحْمَدُ التَّجَانِيَّ مَتَّهٌ^(١)
بِلَادِ مَغْرِبٍ عَلَى تَصَوُّفٍ
وَأَنَّهَا أفضَلُ مِنْ فَوَاتِحِ
وَلَمْ يَغِبْ غَيْبٌ عَنِ الْأَشْرَافِ
- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ - يَا وَنَحَ الْغَيْبِ
مِنْ اسْمِ رَبِّي، والدُّعَا بِهِ حَرَامٌ^(٢)
وَقُلْ بِأَفْرَقِيَا هَوَاهُمْ بِسَرِي



(١) مدَّة.

(٢) المراد: أنه يدعي فضل صلاة الفاتح على الأسماء الحسنی وأن الدعاء بها حرام، ورخَّم دون نداء للضرورة.

التغريب

يرمي إلى صبغ حياة الأمم
وقد هوى بعض بدا التغريب
وابني حسين والفتى الأفغاني
أن اليهود خلف هذا السقم
أمرهم مع الذين استغفروا

وصاحب التغريب يابن الأكرم
بالمناهج الغربي في الأسلوب
كالبيازجي وبطرس البستاني
وقرنه - على غموض - وأعلم
كذا النصارى، والتقوا ودبروا



حزب البعث الاشتراكي

أَنْشَأَهُ صَلاَحُ الْبَيْطَارُ
قُبَيْلَ نِصْفِ قَرْنِ «ك»^(١) الْمِيلَادِي
وَقَدْ حَوَى الدُّرُزِيُّ وَالنُّصَيْرِيُّ
أَفْكَارَهُمْ مِنْ رَهْبُوتِ مَارِكُسْ
وَلَيْسَ لِلدِّينِ مَكَانٌ يَكْمُنُ
وَعَفْلَقُ وَتُلَّةُ أَشْرَارُ
وَكُلُّهُمْ لَأَوْ عَنْ اغْنِقَادِ
وَصَاحِبِ الْإِنْجِيلِ وَالْكَفِيرِيِّ
مَنْزُوعَةٌ بِسَجْلِ كُلِّ مُنْتَكِسِ
لَدِيهِمْ، وَعَمَّهُمْ تَعْلَمُنُ



(١) الكاف ترمز إلى عشرين، أي: القرن العشرين.

الدرّوز

أَضْلُ الدَّرُّوزِ مِنْ تَنُوحٍ وَلَحْمٍ وَقِيلَ: مِنْ عُزْبٍ وَفُزْسٍ وَعَجَمٍ
وَأَلْهُوا الْحَاكِمَ نَجَلَ الْفَاطِمِي فِي أَوَّلِ الْخَامِسِ سَفَاكَ الدَّمِ
وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ ذَوِي نُصَيْرٍ فِي كُفْرِهِمْ وَمَنْهَجِ وَالسَّيْرِ



الرأسمالية

<p>قَامَتْ عَلَى فِلْسَفَةِ الرُّومَانِ وَهِيَ تُنَمِّي مِلْكَ قَرْدٍ، وَتَرَى وَأَعْلَنْتْ حُرِّيَّةَ الْأَسْعَارِ فَوَلَدَتْ أَكْثَلَ الْقَوِيِّ مَا مَلَكَ وَالاضْطِرَابَ فِي الْبُيُوعِ وَالْقِيَمِ</p>	<p>«الرَّأْسُ مَالٍ» فِي ذِهِ الْأَزْمَانِ حُرِّيَّةَ الْمَالِكِ فِي جَلْبِ الثَّرَا وَالْجَمْعَ بِالرَّبَا وَالْاِخْتِگَارِ ضَعِيفُهُمْ وَتَرْكُهُ وَلَوْ هَلَكَ وَهَكَذَا مَا خَالَفَ الدِّينَ الْقِيَمِ^(١)</p>
---	--



(١) قيم الأولى: جمع قيمة، والثانية وصف كزيم، وعِدَى، وِرْوَى،
وَسِوَى.

السَّيِّخُ

دَعَا بِقَرْنٍ (وَي) ^(١) إِلَى التَّوَجُّيدِ
إِلَى الْمَمَاتِ لِبَسَةِ الْأَسَاوِرِ
مُسْطًى صَغِيرٍ فَوْقَ رَأْسٍ وَضِعَا
وَسَطِهِ حَتَّى يَكُونَ بَظْلًا
وَيُنْكِرُونَ سَائِرَ الْمُعْجَزَةِ
وَقَدَّسُوا الْأَبْقَارَ، وَالْخَمَرَ احْتَسُوا
وَاطَّرَحُوا مَعَانِي السَّلَامِ

السَّيِّخُ فِرْقَةٌ مِنَ الْهُنُودِ
شِعَارُهُمْ تَرْكُ اجْتِزَازِ الشَّعْرِ
وَحِرْقَةُ تَحْتَ السَّرَاوِيلِ، مَعَا
وَوَضْعُ حَرْبِيَّةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى
وَهُمْ أَوْلُوا جَوْرٍ، وَظُلْمٍ، غِلْظَةٍ
وَالرُّسُلَ وَالْكِتَابَ لَمْ يُقَدِّسُوا
وَأَبْغَضُوا الْهِنْدُوسَ وَالْإِسْلَامِي ^(٢)



(١) أي: السادس عشر.

(٢) أي: كل ما ينسب إلى الإسلام.

الشيوعية

وَضَعَهَا مَارْكُسُ الْأَلْمَانِي
وَلَا إِلَهَ وَالْحَيَاءُ مَادَّةُ
وَأَعْلَنَ الشُّرْكَةَ فِي الْبِلَادِ
وَحَارَبَ الْمَسْجِدَ وَالْمَصَاحِفَا
وَأَمْرُهُمْ لَيْسَ بِخَافٍ إِذْ هُمْ
عَامَ «يَزٍ»^(١) فِي قَرْنِنَا الزَّمَانِي
شِعَارُهُ يَوْمَ رَمَى إِلْحَادَهُ
وَأَعْمَلَ الْحَدِيدَ فِي الْعِبَادِ
وَفَتَحَ السُّجُونَ وَالْمَخَاوِفَا
«لَيْلَى» الْيَهُودِ وَهُوَ «قَيْسٌ» فَافْهَمُوا



(١) العام السابع عشر؛ لأن الياء بعشرة والزاي بسبعة.

العلمانية

وَبَغَضُهُمْ يَشُكُّ فِي الدِّيَانِ
هَذِي النَّبِيِّ وَالنَّبِيِّ وَالْمُصْحَفِ
وَمِنْهُمْ أَدْعِيَةُ التَّجْدِيدِ
وَحُلُقٍ لِيُظْفَرُوا زُبْرَاسَهُ
فَالدِّينُ ظَالِمٌ كَمَا قَالَ الْحَمَارُ
مِنْهَا الْحَدَاثَةُ - إِلَى جَذَعِ الرَّدَى
إِنَّ أَدِينًا يَضْطَفِينَهَا لَغَوِي

هُمْ فَاصِلُوا الْعِلْمَ عَنِ الْأَدْيَانِ
وَطَعَنُوا فِي الدِّينِ كُلِّهِ وَفِي
وَفِيهِمُ الْمُلْحَدُ وَالْيَهُودِي
وَفَصَّلُوا الدِّينَ عَنِ السِّيَاسَةِ
وَحَرَّرُوا - كَمَا ادَّعَوْا - ذَاتَ الْخِمَارِ
ثُمَّ أَجَاءَهَا ^(١) الْمَخَاضُ - فَبَدَا
وَذَاتُ رَمَزٍ، وَهِيَ جُبْنٌ لُغَوِي



(١) أَلْجَأَهَا إِلَى جَذَعِ الرَّدَى.

فكر الاستشراق

مِنْ أَهْلِ غَرْبِ فِكْرِ الاسْتِشْرَاقِ
مِنْ عِلْمِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ الْإِسْلَامِيِّ
وَهُمْ كَثِيرٌ، بَعْضُهُمْ تَعْصَبَا
وَمِنْهُمْ مَنْ فَاقَ فِي التَّحْقِيقِ
وَقَصْدُ قَوْمٍ مِنْهُمْ التَّشْكِيكُ فِي
النَّيْلِ مِنْ كَلَامِنَا وَالاعْتِمَادُ
أَنْ يَدْرُسَ الْغَرْبِيُّ مَا يُلَاقِي
وَالاسْتِغْرَابُ عَكْسُ ذَا الْكَلَامِ
وَبَعْضُهُمْ تَعْصَبَا قَدْ جَانَبَا
وَالنَّقْلَ وَالْإِخْرَاجَ وَالتَّنْسِيقَ
رِسَالَةً وَالطَّعْنَ بِالتَّخَالُفِ
عَلَى ضَعِيفٍ، ثُمَّ تَنْصِيرُ الْعِبَادِ



القاديانية

<p>أَنفَذَهَا مِرْزَا غُلَامٌ أَحْمَدٌ مِنْ بَعْدِ تِسْعِمَائَةٍ وَأَلْفٍ وَحَسِبُوا غُلَامَهُمْ مَسِيحًا وَفَضَّلُوا غُلَامَهُمْ عَلَى النَّبِيِّ وَزَعَمُوا نُزُولَ جِبْرِئِيلًا عَنْ كُتُبِ هَؤُلَاءِ وَاخْتِمْ</p>	<p>القَادِيَانِي، نِسْبَةٌ لِبَلَدٍ «م»^(١)، جَوَّزُوا شُرْبَ الْعُقَارِ الصَّرْفِ وَنَسَبُوا لِرَبَّنَا الْقَبِيحَا وَنِلَ لَهُمْ وَلِلْعُلَمَاءِ الْعَبِيِّ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ، وَصَبَّرِي عِيلاً بِجَعْلِهِمْ «قَذِيَان» مِثْلَ الْحَرَمِ</p>
---	---



(١) أي: ميلادي.

القرامطة

بَدَأَهَا «مَيْمُونُ الْقَدَّاحُ»
 «حَمْدَانُ» إِثْرَ «ذِكْرَوْنِي» النَّابِي
 ثُمَّ «سُلَيْمَانُ» ابْنُهُ، وَهُوَ «أَبُو
 وَآلَ بَغْدَةَ إِلَى شَقِيقِهِ
 هُمُ أَلَاءُ قَاتِلُوا الْأَبْرَارِ
 وَالْفَانِكُونَ الْأَخِذُونَ الْحَجَرَا
 وَعَدُّدُوا إِلَهُهُمْ، وَالْأَوَّلُ
 فَجَعَلُوا الْقُرْآنَ رِذْفَ الْفَيْضِ

سَنَةَ (مَكْرٍ) ^(١) وَافْتَرَى الرُّبَّاحُ ^(٢)
 ثُمَّ «أَبُو سَعِيدِ الْجَنَابِي»
 طَاهِرِهِمْ، بِهِ تَقَوَّى الْمَذْهَبُ
 وَخَلَعُوهُ بَغْدَتِمْ رَيْقِهِ ^(٣)
 حُجَّاجِ بَيْتِ رَبِّنَا الْجَبَّارِ
 عَشْرِينَ عَامًا وَهُوَ مِنْهُمْ بَرَا
 عِلَّةُ ثَانٍ عِنْدَهُمْ، وَأَوَّلُوا ^(٤)
 وَالْاهْتِدَا لِدِينِهِمْ كَالْأَيْضِ ^(٥)

(١) أي: سنة مائتين وستين.

(٢) كُرْمَان: القرد.

(٣) أي: باطله.

(٤) يقولون بوجود إلهين اثنين قديمين أحدهما علة لوجود الآخر.

(٥) يقولون: القرآن فيض عن المعارف التي فاضت على محمد، ورذف بكسر الراء: مرادف. والأبيض: من آض بمعنى رجع، والمراد: أنهم جعلوا معنى البعث الذي هو الرجوع إلى الله الاهتداء إلى مذهبهم.

القومية العربية

ظُهُورُهَا مَا بَيْنَ قَرْنِ التَّاسِعَا
 شِعَارُهُمْ عَلَى أَسَاسِ الْقُرْبَى
 عَلَى الشَّرِيعَةِ، وَقَالُوا أَهْلًا
 «الدِّينُ لِلَّهِ وَلِلْكَلِّ الْوَطَنُ»
 يَدْعُونَ لِلْخُرُوجِ مِنْ أَدْيَانِ
 وَحَرْبٍ دَيْنِ اللَّهِ قَضْدُ الْقَوْمِ
 وَ«سَاطِعُ» (الْمُظْلِمُ) رَائِدُ قَوِي

عَشَرَ وَالْعِشْرِينَ يَوْمَ رُفْعَا
 وَالذَّمَّ وَالْفُضْحَى، وَشَنُّوا الْحَرْبَا
 بِكُلِّ دِينٍ جَامِعٍ وَسَهْلًا
 دِنَارُهُمْ، وَكُلُّهُمْ بِهِ رَظَنُ
 وَالْغَيْبِ وَالْهُدَى إِلَى الْعِلْمَانِي
 وَالْكَيْدُ وَالْإِلْحَادُ يَا ذَا النَّوْمِ
 وَ«عَفْلَقُ» (أَبُو دِرَاسٍ) الْغَوِي^(١)



(١) ساطع المصري هو رائد القومية، و«المظلم» تكذيب لـ«ساطع»، و«أبو دراس» كنية الفلهم بالفاء والقاف أو بقافين بينهما لام، أو بفاء فياء فلام، عكس المستخصف: هو معنى «عفلق» في العربية.

الماسونية

أُخْتُ الْخِدَاعِ وَابْنَةُ الْمَكْرِ وَأُمُّ
نَظْمِهَا الْبَهُودُ فِي خَفَاءِ
وَكَانَ «هَيْرُذُسُهُمْ» مَنْ أَسَّسَا
وَقَدْ دَعَوْا فِي نَهْجِهِمْ إِلَى الْفَسَادِ
نُفُودُهُمْ وَاقْتَنَصُوا ذَوِي الذِّكَا
وَجَعَلُوا الْكَاعِبَ وَاللُّقُوفَا^(٣)
حَوْلَهُمْ، وَمَنْ أَبَى الدَّوَامَا
وَفَضَّحُوهُ وَافْتَرَوْا وَعَذَّبُوا
وَهُمْ ثَلَاثٌ: صَبِيَّةٌ عُمَيَّانُ
سَمَطَاءُ لـ (ابْنِ ثَهْلَلِ)^(١)، أَيْنَ تَوْمُ
وَأُنْشَأُوا نَوَادِي الرِّفَاءِ
بُنْيَانَهَا، عَلَى شَفَا جُرْفِ رَسَا
فِي الْكَوْنِ وَالْإِلْحَادِ وَالشَّرِّ، فَسَادُ
وَكَتَمُوا الْحَقَّ لَهُمْ وَهُوَ ذُكَا^(٢)
جِبَالَةٌ لِمَنْ قَلَا الْوُقُوفَا
- وَكَانَ مِنْهُمْ - ابْصَرُوهُ السَّامَا^(٤)
فَإِنْ نَجَا وَقَالَ شَيْئًا كَذَّبُوا
كَوْنِيَّةً، وَمَنْ لَهُمْ تَيْجَانُ^(٥)

(١) كُتِبَ الْبَاطِلُ عِنْدَ الْعَرَبِ..

(٢) مِنْ أَسْمَاءِ الشَّمْسِ.

(٣) الْمَرْأَةُ الْمُنْقَادَةُ.

(٤) الْمَوْتُ، وَالْمَرَادُ تَعْذِيبُهُمْ لَهُ أَوْ قَتْلُهُ.

(٥) هُمْ ثَلَاثُ فَنَاتٍ:

الأولى: الْعُمَيَّانُ الصَّغَارُ، وَهُمُ: الْمُبْتَدِئُونَ الْمَغْرَّرُ بِهِمْ.

وَحَدَّعُوا بَعْضَ ذَوِي الْعَمَائِمِ وَغَيْرَهُمْ وَأَنْقَادَ صِنُوفِ النَّائِمِ
وَأَنْسَلَ مِنْهُمْ فِرْقَةَ الرُّوتَّارِي فِي غُرَّةِ الْقَرْنِ، حَمَاكَ الْبَارِي



= الثانية: الكونية: وهي: أعلى الفئات لا يدخلها سوى اليهود.
الثالثة: الملوكية: وهم: المعبر عنهم في النظم بـ«من لهم تيجان» وهم
في المرتبة الوسطى.

النصيرية

مُحَمَّدٌ نَجَلُ نَصِيرِ الْبَصْرِيِّ
 قَالَ: أَنَا الْبَابُ إِلَى الْإِمَامِ
 وَنَجَلُ جُنْدُبٍ وَالْجُنْبُلَانِي
 وَفِئَةٌ مِنْ خَلْفِ ذَاكَ الْعَفْكَلِ^(١)
 وَخَالِيقُ النَّبِيِّ. وَهُوَ قَدْ بَرَا
 مَقْدَادَهُمْ، قَنْبَرَ، وَالْغِفَارِي
 ابْنِ رَوَاحَةَ، وَكُلُّ مُوَكَّلٍ
 وَالثَّانِ نَفَخَ الرُّوحَ، وَالْغِفَارِي
 وَرَابِعٌ بِمَرَضٍ مُنْتَشِرٍ
 وَأَبْطَلُوا مَعْنَى أُمُورِ الدِّينِ
 وَجَعَلُوا الْجِهَادَ صَبًّا لِلْعَنَةِ
 وَجَوَّزُوا اللَّوَاظَ وَالنَّكَاحَا
 وَجَعَلُوهُ أَرْبَعًا بِحَسَبِ

فِي ثَالِثِ الْقُرُونِ رَأْسُ الْكُفْرِ
 ثُمَّ ادَّعَى الْوَحْيَ مِنَ الْعَلَامِ
 ثُمَّ الْخُصْيَبِيَّ فَتَى حَمْدَانِ
 وَكُلُّهُمْ قَالَ: إِلَهْنَا عَلِي
 سَلْمَانَ، ثُمَّ بَعْدُ سَلْمَانَ ذَرَا
 مَعَ ابْنِ مَظْمُونٍ، وَذِي الْأَشْعَارِ
 فَالْخَلْقَ وَالرُّعُودَ حَارَ الْأَوَّلُ
 مُوَكَّلٌ بِالْكَوْكَبِ السَّيَّارِ
 وَخَامِسٌ بِقَبْضِ رُوحِ الْبَشَرِ
 وَشَرِبُوا الصَّهْبَاءَ عَنْ يَقِينِ
 عَلَى الْخُصُومِ وَفُشَاةِ الْمِلَّةِ
 لِمَحْرَمٍ وَنَسَخُوا الْأَرْوَاحَا
 قُرْبٍ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْ بُعْدٍ أَبِي

(١) الأحمق.

نَسَخْ بِأَدَمِي، وَمَسَخْ فِي الْبَهَمِ،
يَقُولُ فِيهِمْ ذُو الْفَتَاوَى الْمِدْرَهُ
فَنَسَخْ بِحَشْرَةٍ، وَرَسَخْ فِي شَجَمِ^(١)
مَقَالَ ذِي مَعْرِفَةٍ، وَهُوَ^(٢) هُوَ:
وَالْمُشْرِكِينَ وَذَوِي الْحَرَابِ
وَحَرَّفُوا وَظَاهَرُوا الْكُفَّارَا
إِذْ مَالُوا الْفِرْنَجَ وَالتَّتَارَا



(١) أعني: الشجر والجماد.

(٢) بتشديد الواو لغة.

الهندوسية

لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ لَهَا مُؤَسَّسُ
سَابِقَةً مِيلَادَ عَيْسَى بـ«طَو»^(١)
وَهُمْ كَثِيرٌ، وَالتَّقَوَا فِي «أُمِّ
وَصَفْوَةُ الْخَلْقِ هُمُ الْبَرَاهِمَةُ
وَحَرَقُ مَوْتَاهُمْ مِنَ الْعَجَائِبِ
بِعِلَّةٍ، وَهِيَ صُعُودُ الرُّوحِ فِي
وَعِنْدَهُمْ لِكُلِّ ذِي ذَنْبٍ لَظَى

وَلَا لِبَعْضٍ كُتِبَها مُهَنْدِسُ
وَالشَّرْكَ فِي قَلْبِ ذَوِيهَا مُنْطَوِي
رِيَّانَ»^(٢)، كَالْمَعْبُودِ عِنْدَ الْقَوْمِ
لَدَيْهِمْ وَالزُّمَرَةُ الْمُقَدَّمَةُ
وَعَلَّلُوا إِخْرَاقَهُمْ يَا صَاحِبِي
عُلُوٍ أَشَدَّ وَتَخَلُّصٍ خَفِي
وَالنَّسْخُ لِلْأَزْوَاجِ عَنْهُمْ حُفْظًا

(١) أي: قبل ميلاد عيسى بستة عشر عاماً.

(٢) أم ريان: كنية البقر عند العرب.

الخاتمة

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَهَـهُنَا
 أَلْبَسْتُهَا الْوَقْفَ وَقُلَّبَ الذَّهَبِ
 مُشْرِبَةً حُلْوِ الْقَصِيدِ وَالْقُرَى
 فِي عَامِ تَبَغْيِي^(١) وَأَرَدْتُ تَبَغْيِي
 مُجَرَّحَ يَرْمِي وَلَا يُبَالِي
 يَجْزِي الَّذِي يَبِيتُ فِي سَهَادِ
 وَعُذْرُهُ حَتْمٌ عَلَيَّ فَالزَّمَنْ
 وَلِبُنَيَّ عَشْرِينَ مَعَ ثِنْتَيْنِ
 لِأَنَّهُ ابْنُ آدَمَ، أَي: خَطَا
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرَ الْعَدْوِ

مَنْظُومَتِي تَطْلُبُ نَحْلَةَ الْبِنَا
 وَبُرْدَةً خَلَعْتُهَا مِنْ أَدْبِي
 فِي ظُلْمَةِ اللَّيَالِ فِي أُمِّ الْقُرَى
 كُفُّوا لَهَا يَصُونُهَا عَنْ بَلْعِ^(٢)
 بِأَسْهُمِ الظَّنِّ بَرِيءُ الْبَالِ
 مُصَنَّفًا، وَهُوَ عَلَى الْوَسَادِ
 فِيهِ السَّلِيمُ وَالْمُلِيمُ وَالزَّمَنْ
 مِنَ السَّنِينَ الْعَذْرُ مَرَّتَيْنِ
 وَأَنَّهُ فِي صِغَرٍ قَدْ خَطَا^(٣)
 ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ

(١) أي: عام ١٤١٢هـ، وهذا التاريخ لنظم الفرق، وأما العقيدة فقبل ذلك.

(٢) أي: أحمق.

(٣) كتبت عامة أبيات العقيدة قبل عام ١٤١٠هـ، وأما أبيات الفرق فبعد ذلك.

وَصَحْبِهِ وَتَابِعِ لِمُنْتَهَى آمِينَ آلاُفًا، وَنَظْمِي أَنْتَهَى^(١)



(١) قال أبو محمد: وهذا أوان الختم بما بدأنا به من حمد الله جلّ ذكره على هداه لنا كثيرًا وتوفيقه، والله يغفر لي ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
المقدمة	١١
الكلام في نوعي التوحيد	١٣
العابدون غير الله	١٦
بيان أقسام الظلم والفسوق والنفاق والكفر والشرك	١٧
مسألة في التوسل	١٨
حكم من أتى كاهنًا أو عرافًا والاستسقاء بالأنواء والحكمة من خلقها	١٩
الكلام في السحر وحكم الساحر والشُّرة	٢٠
الكلام عن الكيِّ والتداوي	٢١
أقسام البدعة	٢٣
أسباب البدع	٢٤
حكم من أتى ببدعة	٢٥
نواقض الإسلام	٢٦
باب في الكلام في توحيد أسماء الله تعالى وصفاته وهو مشتمل على جملة ما حوته «التدمرية»	٢٧
بيان أن الكلام في هذا يتبين بأصلين ومثلين وخاتمة	٣٠
الأصل الأول	٣١
الأصل الثاني	٣٤

٣٨	فصل في ذكر المثليين المثل الأول
٣٩	مسألة في بيان مذاهب الناس فيما أخبر به الله عن نفسه وعن دار الجزاء ...
٤٠	المثل الثاني
٤١	الخاتمة وفيها ستُّ قواعد
٤٢	القاعدة الأولى
٤٤	القاعدة الثانية
٤٦	مسألة
٤٨	القاعدة الثالثة
٥١	القاعدة الرابعة
٥٤	القاعدة الخامسة
٥٧	القاعدة السادسة
٥٩	فصل
٦٠	تنبيه
٦١	باب فيمن أثر مذهب الخلف، والرد عليهم وهو مما تضمنته «الحموية» ...
٦٥	ذكر المنحرفين عن طريق الحق وهم أهل التخييل والتأويل والتجهيل
٦٧	القول في أسماء الله تعالى
٦٩	مسألة
٧١	فصل في المعية
٧٣	فصل في الاستواء
٧٥	فصل
٧٨	فصل: في كلام الله
٨٠	كتاب الإيمان
٨١	فصل في الإيمان بالملائكة
٨٣	فصل في الإيمان بكتب الله
٨٤	فصل في الإيمان بالرسول
٨٦	تفريع
٨٨	فصل في الإيمان باليوم الآخر

الموضوع	الصفحة
فصل	٩١
تفريع فيه الكلام عن الروح	٩٣
القول في الجنة والنار	٩٥
القول في الشفاعة وأنواعها	٩٩
مسألة	١٠١
فصل في الإيمان بالقدر	١٠٢
مناظرة ظهر فيها الحق في هذا الباب	١٠٥
مسألة	١٠٧
القول في الصحابة وبيان فضلهم رضوان الله عليهم	١٠٨
تفريع	١١٠
مسألة	١١٢
القول في الأئمة والولاية وطاعتهم والدعاء لهم وعدم الخروج عليهم والبراءة	
من أهل البدع	١١٣
القول في الفرقة الناجية	١١٥
خاتمة	١١٦
الفرق والمذاهب المعاصرة	١١٩
الإباضية والخوارج	١٢١
الخوارج	١٢٢
أهل الاعتزال	١٢٣
أهل التشيع	١٢٥
أهل التصوف	١٢٦
الاثنا عشرية	١٢٨
البائية والبهاية	١٣٠
البوذية	١٣١
التجانية	١٣٢
التغريب	١٣٣
حزب البعث الاشتراكي	١٣٤

الموضوع	الصفحة
الدروز	١٣٥
الرأسمالية	١٣٦
السِّيخ	١٣٧
الشيوعية	١٣٨
العلمانية	١٣٩
فكر الاستشراق	١٤٠
القاديانية	١٤١
القرامطة	١٤٢
القومية العربية	١٤٣
الماسونية	١٤٤
النصيرية	١٤٦
الهندوسية	١٤٨
الخاتمة	١٤٩
المحتوى	١٥١



رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس